المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية
المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

في هذا العدد

- الرفيق الامين العام للحزب :
  لا نفرط بحقوقنا
  ولا نساوم على أرضنا ..
- الجولة الحادية عشرة من مباحثات واشنطن ومفهوم السلام العادل .
- صفحات من تاريخ الحزب
  - سنوات المخاض -
- الدور الامريكي في حرب حزيران عام ١٩٦٧ ..
- اسبانيا : من فرانكو الى غونزاليس ..

العدد ٢٦١ تموز - آب ١٩٩٣

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

[illegible]

[illegible]

في هذا العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحيــة	٢
★ الجولة الحادية عشرة من مباحثات واشنطن ومفهوم السلام العادل ..	
الرفيق : الدكتور فواز صياغ عضو القيادة القومية الاحتياط « رئيس هيئة التحرير »	
● في يوم الجيش	٦
★ الرفيق الامين العام للحزب : لا نفرط بحقوقنا ولا نساوم على ارضنا ..	
● صفحات من تاريخ الحزب	١٠
★ سنوات المخاض ١٩٤٠ ــ ١٩٤٧ الحلقة السادسة عشرة	
الرفيق : جورج صدقني	
● دراسات سياسية	٣٧
★ الدور الامريكي في حرب حزيران عــام ١٩٦٧	
الرفيق : د . غازي حسين	
★ اسبانيا : من فرانكو الى غونزاليس ..	٥٢
الرفيق : فوزي الجودة	
● نشاطات ووثائق ..	٦٢

الافتتاحية

الجولة الحادية عشرة من مباحثات واشنطن ومفهوم السلام العادل..

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

تبدا في الحادي والثلاثين من آب الجاري الجولة الحادية عشرة من المفاوضات العربية الاسرائيلية في واشنطن بعد فترة من الانقطاع بسبب العدوان الاسرائيلي الواسع على جنوب لبنان والخسائر المادية والبشرية التي لحقت بالجنوب المقاوم للاحتلال .

خلال الجولات العشر الماضية من المفاوضات إثر مؤتمر مدريد تركز البحث حول تطبيق قراري مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ و٣٣٨ وكان هناك مفهومان مختلفان الاول من الجانب العربي الذي يؤكد الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في اقامة سلطته الوطنية على ارض فلسطين ، والثاني المفهوم الاسرائيلي من جهة اخرى الذي يريد التنصل من الالتزام بذلك ويقدم تفسيرات غير واضحة حول هاتين المسالتين .

بعد التحولات العميقة التي جرت في العالم عقب انهيار الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية التي كانت تقف بحزم الى جانب الصف العربي ومفهومه للقرارات الدولية تلك ، وكان هناك جزء كبير من الراي العام العالمي يساند الموقف العربي ، الذي كان موحداً في تلك الفترة وقبل حرب الخليج حول فهم مشترك لهذه

القرارات اضافة الى موقف مؤيد للعرب من دول حركة عدم الانحياز ومجموعة الدول الاسلامية .

تلك المواقف جميعها كانت عاملا مهما في تماسك الموقف العربي اساسا ، وعاملا ضاغطا على الموقف الاسرائيلي ومن خلفه الموقف الغربي والامريكي المساند له، مما جعل العرب يقفون امام معادلة متوازنة تقريبا تساعدهم في مواقفهم وتفسيرهم للقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ الذي انعقد على اساسهما مؤتمر مدريد للسلام ، لقد حدث تحول عميق في الموقف الدولي المساند للعرب ، بعد انهيار دول المنظومة الاشتراكية . وانعكس ذلك التحول على مجموعة دول عدم الانحياز التي كانت تضم عددا من تلك الدول التي اصابتها التحولات ، وانعكس ذلك ايضا على عدد غير قليل من الدول الاسلامية التي كانت تؤيد الموقف العربي والتي تعمقت الخلافات بينها إثر حرب الخليج والمواقف المتباينة منها ، ولحق ببعضها الانقسام والتشرذم بسبب الهيمنة الامريكية على عدد من حكوماتها .

لقد تأثر الموقف العربي سلبا إثر ذلك ، اضافة لما كان قد لحقه من تراجع كبير جراء ما خلفه توقيع اتفاقية كامب ديفيد وآثارها النفسي والمادي على الجماهير العربية ، وما تركته حرب الخليج الاولى وحرب الخليج الثانية بعد احتلال الكويت من آثار مدمرة في الموقف العربي النفسي والمادي .

لقد اصبح موقف معظم الدول العربية وحكوماتها في حالة من الضعف بحيث اصبح معه الحفاظ على ماهو قائم يعتبر من الامور المهمة امام كثير من الانظمة العربية ،خصوصا بعد انشغال معظم تلك الانظمة بما تواجهه من ازمات داخلية سياسية واقتصادية واجتماعية جعلت الهم الاساسي لعدد منها تثبيت الامن ومواجهة التحديات الداخلية والانكفاء على نفسها واصبح اهتمامها بالشأن العام وقضية الصراع العربي الصهيوني أمرا ثانويا جدا بالنسبة لها.

في مثل هذه الاوضاع الدولية والعربية جرت المفاوضات في معظم جولاتها السابقة وفي مثلها ايضا ستبدأ الجولة الحادية عشرة.

إن سورية اليوم ايها الرفاق تقف امام راي عام عالمي يفهم القرارين ٢٤٢ – ٣٣٨ فهمامختلفا عن فهمها وكذلك لايشاركها معظم العرب هذا الفهم ، بل ويذهب بعضهم الى حد مشاركة الاسرائيليين

والعالم فهما يكاد يكون مشتركا بينهم ، وتجد سورية ان من العسير عليها في مثل هذه الظروف اقناع العالم بوجهة نظرها وفهمها القرارين المذكورين وهي مع ذلك تحاول جهدها مع كافة الاطراف العربية اولا ، والاطراف الراعية لمؤتمر مدريد ـ الولايات المتحدة الامريكيه وروسيا ـ ان تصل الى مواقف تستطيع من خلالها الحفاظ على ما يحقق للعرب كرامتهم وحقهم في استعادة الارض العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ والاتفاق على ترتيبات تحقق للشعب العربي الفلسطيني حقوقه السياسية .

وستبقى سورية وقيادتها ملتزمة بما عاهدت جماهير الامة العربية عليه في المحافظة على الموقف الذي يحقق الكرامة ويعيد الحقوق ، مؤكدة بان ما يشهده العالم اليوم من موقف سياسي مهيمن أحادي القطبية تمثله السياسة الامريكية لايشكل صورة العالم المستقر الذي يسعى الجميع للوصول اليه .

وستبقى سورية بقيادة الحزب وامينه العام الرفيق حافظ الاسد رئيس الجمهورية مناضلة مع جميع محبي الحرية والسلام والعدل والمساواة في العالم للوصول الى عالم متوازن مستقر تستطيع فيه الشعوب المختلفة من تحقيق حياة تقدم واستقرار وامن وعدل ومساواة ، وهذا الهدف السامي هو اساس مضمون الرسالة الخالدة التي تحملها الامة العربية للانسانية .

في يوم الجيش

الرفيق الامين العام للحزب :

لانفرط بحقوقنا ولانساوم على أرضنا..

• وجه الرفيق القائد حافظ الاسد الامين العام للحزب رئيس الجمهورية كلمة الى قواتنا المسلحة بمناسبة الذكرى الثامنة والاربعين لتاسيس الجيش العربي السوري هذا نصها :

إخواني وابنائي في قواتنا المسلحة

ايها الضباط وصف الضباط والجنود البواسل

يسعدني غاية السعادة ونحن نحتفي بالذكرى الثامنة والاربعين لتاسيس الجيش العربي السوري ، ان اهنئكم جميعا وان ابثكم محبتي وأعرب عن تقديري لما بذلتم خلال العام المنصرم من جهود ميمونة في مجال التدريب والاستعداد وسائر مجالات الاداء العسكري ، التي كنتم دائما مجلين فيها، ونذرتم انفسكم من خلالها، للدفاع عن الوطن وعن قضايا الامة والتصدي لكل خطر يحيق بالامة.

ان حسن الاداء من جودة الاعداد والاستعداد ، وصلابة الموقف من رسوخ العقيدة وثبات الايمان ، ولقد احدتم الاعداد والاستعداد فكان اداؤكم الاداء الحسن دائما ورسختم في نفوسكم ايمانكم بعقيدة البعث العربي الاشتراكي وايمانكم بانتمائكم القومي

فكانت مواقفكم الصلبة شاهدا حيا على انكم الجيش العقائدي الذي استحق عن جدارة أن يكون جيش الامة العربية القوي بذاته وبامته والقوية امته به .

وليس اجمل من هذه الذكرى واكثر مدعاة للاعتزاز بها انها تاتي مؤشرا صريحا وجليا الى تقدم لا انقطاع فيه وارتقاء لا تعثر فيه على سلم اكتساب القدرات والكفاءات انطلاقا من خصائص وشيم تميزتم بها حبا للوطن واستعدادا للفداء والعطاء وبطولة في الاداء وايمانا بوحدة الوطن العربي وترابط قضاياه .

ان هذه الخصائص والشيم المميزة ـ قد ترسخت وتعمقت جذورها في تربة تنشئتكم وتاصلت في مجرى حياتكم فجعلت من الجيش العربي السوري جيش الوطن والامة المبادر حيث المبادرة حق والمدافع حيث الدفاع واجب الجيش الذي لا يتوانى او يتردد في نجدة الشقيق عندما يستوجب الامر ذلك .

وتاريخ قواتنا المسلحة على امتداد السنوات الثماني والاربعين الماضية حافل بالشواهد على ذلك بدءا من جهاد جيشنا وهو بعد قوة ناشئة غير مكتملة العدد والعدة في معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وخلال سائر المعارك التي خاضها منذ ذلك الحين في مواجهة موجة العدوان والتوسع الصهيونية وكانت له فيها مواقف مشرفة وخلال بطولاته الفذة في حرب تشرين المجيدة وحرب الاستنزاف في الجولان وجبل الشيخ وحرب لبنان التي خضتموها ببسالة في وجه العدوان الغاشم الاثيم على لبنان عام ١٩٨٢ وخلال مهمته الاخوية في لبنان على امتداد اكثر من سبعة عشر عاما والمهمة الاخوية التي قمتم بها خلال ازمة احتلال الكويت وغيرها من مواقف الشرف والرجولة دفاعا عن قضايا الامة .

لقد ورثنا من تاريخ امتنا المجيدة قيما عظيمة قيم الشهامة والاباء قيم الفروسية والبطولة والحق والعدل وورثنا مثلا عليا ومبادىء سامية نادت بها الرسالات السماوية التي انطلقت من ارضنا وحين نذكر هذه القيم والمثل العليا نذكر في طليعتها قيمة القيم الشهادة في سبيل الله والوطن هذه القيمة التي كانت على الدوام كوكبا منيرا لامتنا على طريق النصر .

لقد آلينا على انفسنا ان يكون عيد الشهداء يوما مشهودا في حياتنا نؤدي فيه واجب التكريم والتبجيل لمن جادوا باغلى ما يجود

به الانسان في سبيل الله والوطن . وقطعنا عهدا ان نرعى ابناءهم واسرهم وان نؤمن لهم قدر المستطاع احتياجاتهم الحياتية ونحن نعاهد اكرم من في الدنيا وانبل بني البشر ان نحفظ العهد وان نكمل السير على دربهم درب الشهادة او النصر .

ايها الاخوة والابناء في قواتنا المسلحة الباسلة .

ليس تجاوزا او مبالغة ان نقول اننا نخوض معركة هي معركة السلام ونحن نخوضها بنفس الاقتدار الذي خضنا به المعارك الحربية ولن تكون مواقفنا في معركة السلام اقل شجاعة مما هي في ميادين القتال ويجب ان يعلم كل من يعنيه الامر ان تاييدنا للسلام لا يعني القبول بالسلام الذي تريد اسرائيل فرضه على الاطراف العربية ولا يعني القبول باقل مما يعنيه مفهوم السلام العادل بجوانبه المختلفة ولم يتوفر حتى يومنا هذا اي دليل على رغبة اسرائيل في تحقيق السلام بل الادلة حتى اليوم تشير الى عكس ذلك .

من يريد السلام لا يقصف بالصواريخ والقنابل المدنيين الآمنين ويهدم منازلهم بالطيران الحربي فوق رؤوسهم ولا يقتل الاطفال والنساء والشباب لمجرد انهم يريدون التخلص من الاحتلال .

ولا يستقيم اطلاقا زعم اسرائيل ان امنها مرهون بمسالة قواتها التي تحتل الارض العربية وتمارس العدوان باوسع مداه على ابناء هذه الارض واصحابها الشرعيين .

وقد دابت اسرائيل منذ بداية عملية السلام على خلق العقبات واقامة العراقيل واعتمدت سياسة التهرب من المسائل الجوهرية ومن متطلبات السلام وهي لا تفتا تراوغ عندما يتطلب الامر موقفا واضحا من الاسس التي قامت عليها عملية السلام ومن قرارات مجلس الامن وصيغة الارض مقابل السلام واذا كان الامن هاجس اسرائيل وهو ما تدعيه فان حجتها في هذا الشان لا تستند الى اساس فالعرب هم الاولى بان تكون هذه حجتهم بعد كل ما اصابهم من جراء الاعتداءات الاسرائيلية المدعومة من دول غربية وبعد المعاناة الطويلة الناجمة عن احتلال اسرائيل للاراضي العربية .

ان قذائف المعتدي وصواريخه تستطيع ان تقتل وتدمر ولكنها لا تستطيع ابدا ان تقضي على روح مقاومة المعتدي . بل هي تؤجج نار الحقد على المعتدي وتنمي التصميم على مقاومة العدوان والاحتلال .

ان السلام العادل والشامل بمقوماته الحقيقية هو الذي يجلب الامن ولا تستطيع اسرائيل ان تستاثر بحق المطالبة بالامن بينما هي مستمرة في الاحتلال .

ان مقاومة الاحتلال حق مشروع تقرره سائر الشرائع الدولية لمن احتلت ارضه والسبيل الى انتهاء المقاومة هو انتهاء الاحتلال وعودة الارض والحقوق الى اصحابها وهذا امر لا بد ان يكون في اساس جهود راعيي عملية السلام .

ايها الاخوة والابناء في قواتنا المسلحة .

بعزيمتنا وقوتنا نكتب تاريخنا ونرسم طريقنا وما كانت طريقنا الا طريق الخير والعدل والسلام فمن اراده كان عليه ان يدرك عدالة مطلبنا وصواب موقفنا .

ولا يفوتني في هذه المناسبة ان احيي باسمكم احر التحية الى اهلنا وابنائنا في الجولان السورية المحتلة والى اخوتنا الصامدين في الارض الفلسطينية المحتلة والى اخوتنا الميامين في الجنوب اللبناني المحتل الذين يؤكدون كل يوم ايمانهم العميق بالشهادة ويرسمون عبر هذا الايمان طريق النصر على المعتدين .

تحيتي القلبية لكم في سائر مواقعكم . تحيتي لاسركم التي انجبت ابطالا مغاوير يرفعون راس الوطن عاليا ....

بكم وشعبنا الابي الذي يقف من ورائكم في جبهة داخلية متراصة وبيقظتنا الكاملة . وتاهبنا التام . نواصل مسيرتنا بكل الثقة في ان النصر حليفنا باذن الله ..

والسلام عليكم ...

الفريق حافظ الاسد
رئيس الجمهورية
القائد العام للجيش والقوات المسلحة

دمشق في ١ / آب / ١٩٩٣ .

سنوات المخاض

١٩٤٠ ـ ١٩٤٧

الحلقة السادسة عشرة

الرفيق: جورج صدقني

قصة (البعث العربي) في اللاذقية

تمهيد لابد منه:

كنا عرضنا في حلقة سابقة كيف اسس زكي الارسوزي حزب (البعث العربي) في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٠، بعد عودته من العراق، وكيف وجهت السلطات الفرنسية ضربة قاصمة لهذا الحزب في اعقاب البيان الذي اصدره زكي الارسوزي باسم الحزب في ايار ١٩٤١، والذي اعرب فيه عن **موقف سلبي** من ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، فاخذت قوى الحزب، بعد ذلك، تضعف وتتضاءل حتى تلاشت تماما سنة ١٩٤٢.

وكان ما لقيه الاستاذ الارسوزي من احباط ـ بعد ان تحالفت عليه قوى المستعمر الفرنسي، وظروف الفقر والبؤس الى حد الجوع، وتخاذل السياسيين «الوطنيين» وتنكرهم له ـ قد جعله ينفصل عن الواقع، ويعيش في عالمه الخاص، ويشك في كل من حوله: فالناس كلهم جواسيس، حتى تلاميذه الملتصقون به لم ينجوا من اتهامه اياهم بالعمالة والتجسس عليه. وقد حملته هذه الظروف القاسية على الانقطاع عن العمل السياسي المباشر، والانصراف الى العمل الفكري والثقافي(١)».

لقد تحدثنا عن هذه الامور كلها من قبل بالتفصيل، ووصفنا

ماآلت اليه حال الاستاذ الارسوزي وصفا دقيقا، وفي سبيل مزيد من الوضوح نورد فيما يلي مقطعا من مذكرات الدكتور وهيب الغانم، عنوانه **(التعب، والانفصال عن الواقع)**، يصف فيه وضع الارسوزي في هذه المرحلة:

«... وصل هذا الزعيم السياسي النقي الى الخط الاحمر في تعبه النفسي. تقطعت صلاته بالواقع، فراح ـ على مدى مايشعر به من احباط في هذا الواقع ـ يهرب الى خياله الفسيح في التعويض. بات من المحال أن يتابع عمله السياسي كقائد.

«نحن، تلامذته، كنا شبابا يافعين، قادرين على تحمل شظف العيش مهما قسا. واكثرنا عاش طفولة غير ميسورة. ثيابنا المهلهلة. طعامنا الفقير. عرينا المادي. كلها كانت تختفي او تكاد امام لهب المثل العليا، التي تتغلغل في حنايانا، وامام تصميمنا على مواصلة الكفاح من اجل تحقيقها.

«زكي [الارسوزي] كان قد تجاوز الاربعين. وكانت طموحاته تتلقى الصدمات من دون انقطاع. احلام شبابه الموزعة بين ان يكون ثائرا او فنانا بدات تتخذ مسارها الحاسم. وحده طريق الفكر والفن بقي امامه مفتوحا. كل السدود تراكمت امام كفاحه القومي. واعتاها تعبه النفسي. البعث ـ بالنسبة اليه ـ يتقدم ويبدأ. المستعمر يكافحه بكل اسلحته القذرة. يضيق عليه الخناق ماديا ومعنويا. يكاد يحجب عنه وعن تلامذته لقمة العيش. يطوقه برقابة وقحة، وبمراقبين من جملة اساليبهم الكشف عن هويتهم ومهمتهم. غام كقائد ومنظم، وازداد اشراقه كمفكر وفنان. تكدست اوهامه في حدود الواقع، وضربت جذوره اعمق فاعمق في رحاب الفكر.

«ادركت في اعماقي ان قدره قد تحدد: سيظل يمد الثورة العربية واجيالها باشعاعه الفكري. سيظل واحدا من المشاعل التي تهدي الخطا في واقع الكفاح المعقد. **ولكنه لن يقود هذا الكفاح**»(٢).

كلام واضح لايحتاج الى مزيد من الوضوح، ومع ذلك فقد يكون من المفيد ان اذكر مايلي:

□ يقول الدكتور وهيب ان المستعمر ضيق الخناق على الارسوزي وكاد يحجب عنه لقمة العيش. واجدني مدفوعا الى التعليق على هذا الكلام، لاحذر القارئ من ان يحمل هذا القول على محمل المجاز او على محمل الاسلوب الادبي في التعبير. فالواقع ان الارسوزي قد

ممسه الجوع بالفعل . لقد روى لي زميل كفاحه في انطاكية الاستاذ **صبحي زخور** ، انهما كانا ـ في مرحلة ما ـ يذهبان يوميا سيرا على الاقدام من مركز المدينة في دمشق الى القصاع ، ليشتريا لكل منهما شطيرة (ساندويشة) من دكان هناك اكتشفاه بالمصادفة وعرفا ان الشطيرة التي يبيعها اكبر قليلا ، وارخص ببضعة قروش ، وتمتاز عن مثيلاتها بأن فيها بضع حبات من الزيتون الاسود . ويكفي مثالا على البؤس الشديد ، الذي آلت اليه حاله ان نشير الى ان امه توفيت في تلك المرحلة في طرطوس ، بينما كان يقف الى جانبها ـ والوصفة الطبية في يده ـ عاجزا عن شراء الدواء الذي وصفه الطبيب !!

□ قال لي الدكتور وهيب ذات مرة : « ما اكثر ما قالوا انني تخليت عن الاستاذ زكي ! ؛ وما ابعد هذا القول عن الحقيقة !! فالواقع ان الاستاذ زكي هو الذي تخلى عني .. بل هو الذي تخلى عنا جميعا » . ولعلني لم افهم ما كان يرمي اليه الدكتور وهيب بقوله هذا الا بعد ما قرات هذا المقطع من ذكرياته ، الذي اثبته آنفا .

□ يتبين من كلام الدكتور وهيب بوضوح ان الارسوزي لم يعد قادرا على قيادة النضال السياسي ، وان ظل منارة تهدي الاجيال الجديدة من المناضلين . ولما كانت الثورة العربية مستمرة الى ان تحقق اهدافها ، فان حزب (البعث) ، اداة هذه الثورة ، لابد ان يستمر ، حتى لو لم يكن زكي الارسوزي على رأس هذا الحزب . وهكذا يتبين لنا بجلاء لماذا انشأ الدكتور وهيب حزبا جديدا في اللاذقية باسم (البعث العربي) ، كان استمرارا لبعث الارسوزي من جهة ، ومختلفا عنه من جهة ثانية . يقول وهيب « ... كان من حسن حظي ان تعرفت عليه [الارسوزي] في الوقت المناسب ، ولقد تعلمت من صحبته الكثير ، **وآخر وأثمن ما تعلمت** : الانتهاء من الايمان بالزعامة الفردية ، اية كانت . لئن كان هذا الصوفي سلوكا ، والعبقري فكرا ، والذي شعرت نحوه ببالغ الاعجاب والتقدير ، يتعرض للتعب والخطأ ، فما الذي يبقى للآخرين ؟ » (٣) . بعد هذا يصبح من اليسير ان نفهم لماذا قيل عن (البعث) في اللاذقية انه « بعث الارسوزي ، ولكن بدون الارسوزي نفسه » .

ولكن اذا كان بعث الارسوزي قد تعثرت مسيرته في دمشق ، فقد كان مقدرا له ان ترتفع راياته ، بعد ذلك ، خفاقة في سماء

اللاذقية ، وكان للدكتور وهيب الغانم فضل الريادة في ذلك . وقد مر نشوء (البعث) في اللاذقية بثلاثة مراحل :

□ المرحلة الاولى كانت مرحلة تمهيدية او **استطلاعية** ، وقد جرت على فترتين منفصلتين : كانت الفترة الاولى منهما في اواخر العام ١٩٤٢ ، واستغرقت الفترة الثانية فصل الصيف من العام ١٩٤٣ كاملا ، اي اكثر من ثلاثة أشهر بقليل .

□ المرحلة الثانية مرحلة **النشوء** والانطلاق ، وقد بدأت بافتتاح عيادة الدكتور وهيب الغانم في مدينة اللاذقية ، في ايلول ١٩٤٤ ، وامتدت الى اواخر العام ١٩٤٥ .

□ المرحلة الثالثة مرحلة **الانتشار** الواسع ، وقد استغرقت العام ١٩٤٦ بكامله ، والفصل الاول من العام ١٩٤٧ ، حتى انعقاد المؤتمر التاسيسي في ٤ نيسان ١٩٤٧ في دمشق .

وسنعرض في ما يلي تاريخ كل مرحلة من هذه المراحل على حدة . ولكن لابد لنا من الاشارة الى ان كتابة تاريخ (البعث) في اللاذقية لها ، علاوة على صعوبات عملية التاريخ بوجه عام ، صعوبات خاصة ، ذلك ان الوثائق المتعلقة بتلك المراحل مفقودة كلها او تكاد ، حتى ليخيل الى المرء ان الحزب كان ، آنذاك ، حزبا « شفويا » ، يمارس

□ حول الحزب القومي العربي □

في سبيل مزيد من الوضوح والدقة ، نؤكد ان « الحزب القومي العربي » الذي أسسه الارسوزي ، عام ١٩٣٩ ، قبل سفره الى العراق (المناضل ، العدد ٢٤٧ ، اذار / نيسان ١٩٩١ ، ص ٣٠) ، لم يكن سوى نسخة مسبقة او مبكرة من حزب (البعث العربي) ، الذي اسسه في العام التالي ، بعد عودته من العراق ، ونؤكد ان ذلك الحزب لم يدم سوى بضعة اشهر (او ربما اسابيع) . والواقع ان اسم (القومي العربي) لم يكن الا اسما مؤقتا ، سرعان ما عدل الارسوزي عنه ، عندما اهتدى عام ١٩٤٠ الى اسم (البعث) ، فلقي هوى في نفسه ، واستقر رأيه عليه نهائيا ، فاتخذه اسما للحزب . ونشير ـ تأييدا لما قلناه ـ الى ان مبادىء الحزبين ، اللذين اسسهما الارسوزي (اعني القومي العربي ، والبعث) كانت واحدة .

وتجنبا لكل التباس نؤكد ان « الحزب القومي العربي » ، الذي اسسه الارسوزي عام ١٩٣٩ ، لا يمت باية صلة الى الحزب (السري) الذي تأسس عام ١٩٣٤ ، والذي كان يحمل هذا الاسم بعينه .

الكلام ويهمل الكتابة . وقد زاد الامر صعوبة ، على صعوبته في الاصل ، ان الشاعر الفنان الذي يعيش في اهاب وهيب الغانم متخفيا وراء مظهر القائد المنظم كانت له الغلبة في معظم الاحيان ، فضاعت الوثائق ولم يحتفظ الشاعر بشيء منها . ومتى كان الشعراء يحفلون بالوثائق ؟ !

لا يبقى امامنا الا اللجوء الى ما بقي حيا في الذاكرة . وهنا تعترضنا صعوبات اخرى ، ذلك ان اقدم جيل في الحزب الآن ، من اجيال (البعث) في اللاذقية ، يكاد لا يعرف شيئا عن المرحلتين الاوليين، اللتين تمتدان من اواخر العام ١٩٤٢ الى نهاية العام ١٩٤٥ ، لان اعمار معظم ابناء هذا الجيل كانت ، في العام ١٩٤٢ ، تتراوح بين احد عشر عاما وثلاثة عشر عاما . وليس بين هؤلاء ، في ارجح الظن ، من كان انتسابه للحزب قبل العام ١٩٤٦ . فليس لنا ، والحالة هذه ، الا ان نستقي معلوماتنا عن هاتين المرحلتين من ذاكرة الدكتور وهيب الغانم نفسه . ومن احق منه بالحديث عن تلك المراحل السحيقة البعيدة العهد ؟

سنعتمد اذن على ذكريات الدكتور وهيب ، التي دونها بخط يده ، وسنقتطف منها مقتطفات واسعة ، محاولين التركيز على ما يتصل بتاريخ الحزب منها ، والاقتصار في الجوانب الشخصية منها على ما له صلة بهذا التاريخ .

بقي علينا ان نعرب عن تحفظ اكاديمي تفرضه علينا الموضوعية والروح العلمية ، الا وهو ان الاعتماد على الذاكرة وحدها في التاريخ لا يضمن لنا عدم الوقوع في الخطأ في بعض الاحيان : ذلك انه من الثابت علميا ان الذاكرة كثيرا ما تخون ! ولكن ما باليد حيلة . على ان ما يخفف من وطأة هذا التحفظ ان الدكتور وهيب لا يدلي ، هنا، بافادته عما رآه بعينيه شاهدا غريبا محايدا ، وانما يروي لنا ما عاشه من احداث ، وعاناه بنفسه من تجارب ، وما خاض غماره من نضال ، وما ذاقه من حلاوة الانتصار ، وما تجرعه من مرارة الخيبة والاخفاق ، وهذا كله يخفف من احتمال وقوع الذاكرة في اخطاء جسيمة ، لان صور الاحداث، في مثل هذه الحالة ، تبقى محفورة في الذاكرة بخطوط عميقة لا تمحو اثرها الايام .

والآن الى قصة (البعث العربي) في اللاذقية، نرويها بحذافيرها. ولنبدأ روايتنا ، كما ينبغي لنا ، من البداية .

أولا ـ المرحلة الاستطلاعية

الف / السفرة الاولى الى اللاذقية (كانون الاول ١٩٤٢) :

حتى العام ١٩٤٢ لم يكن وهيب الغانم يعرف اللاذقية ، فهو طالب مهاجر من لواء الاسكندرونة ، يتابع تحصيله الجامعي ، بمنحة حكومية ، في الصف قبل الاخير من معهد الطب بدمشق، ويتقاسم، هو ونفر من رفاقه من الطلاب اللوائيين ، حياة الفقر والبؤس في (بيت السبكي) مع الاستاذ زكي الارسوزي . وكان يتردد على بيت السبكي طلاب كثيرون ، يذكر الدكتور وهيب الغانم منهم ، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر : **حسين مهنا ، محمود علي كامل، حسن عباس ، علي حيدر علي ، سامي الجندي ، جمال اتاسي ، محمد الكسار ، يحيى السوفي ، طويق عز الدين ، نظام ضاهر ، محمد الفاضل ، عبد الحليم قدور ، محمد الخير ، يوسف الخير ، عبد الخالق نقشبندي ، وهؤلاء طبعا علاوة على الطلاب اللوائيين .**

يقول الدكتور وهيب : « بين الذين كانوا يترددون علينا [في بيت السبكي] ، واستحكمت بيننا وبينهم صلات الود ، **حسين مهنا ومحمود علي كامل** . دعواني بالحاح الى زيارتهم في محافظة اللاذقية على نفقتهما ، فهما يعرفان ـ طبعا ـ ان مثل هذا الترف يفوق طاقة ميزانيتنا .

« كانت الدعوة مغرية ، فانا منذ ١٩٣٧ لم ار البحر . ثم انني بحاجة الى بعض الراحة **والغذاء** ، لبيت طلبهما . وذات صباح بارد في كانون الاول [١٩٤٢] ، سافرنا سوية في باص عتيق (...) قبيل الغروب ، على مفرق طريق غير معبد ، نزلت انا وحسين ، بينما تابع محمود رحلته الى مدينة اللاذقية ، بعد ان قطعنا له وعدا بزيارته فيها .

« خطوات ووصلنا الى القرية المضيافة (**حميميم**) ، على بعد ٥ كيلومترات تقريبا ، شمالي جبلة .

« سارع والد حسين ووالدته ، واهلوه الى الترحيب به ، وبضيفه ، وقدموا لنا بعد قليل عشاء طيبا (...) قبل انتهاء السهرة كانت شقيقته (التي تدرس الثانوية) متحمسة لافكار البعث العربي .

« بعد يومين ، ذهبت الى اللاذقية ، ونزلت في بيت اصدقاء

اعزاء (حسن غريب واخوته : محمد وطاهر وعز الدين) . وكان يشاركهم سكنهم ابن عمهم **محمد علي غريب** ، الذي كان يدرس الحقوق في دمشق . وهو ـ عدا عن كونه احد الذين هاجروا من اللواء ، مع الطلاب الآخرين ـ يرتبط معنا بصداقة حميمة ، يشاركنا السراء والضراء ، ويواظب على بيتنا في السبكي ، حتى كأنه واحد من سكانه الدائمين (٤) .

« كان آل غريب على مستوى من الوعي الذي يسمح لهم باستيعاب جيد لأوضاع المنطقة . وقد افدت من خبرتهم ، ووفروا علي كثيراً من المتاعب ، التي كنت سأواجهها في المستقبل لولاهم .

« كان **محمود علي كامل** يسكن في الطابق الذي يعلو منزلهم . زرناه وتعشينا عنده . وقد حضر العشاء قريبه وفي الوقت نفسه ابن **زعيم عشيرته** ، كما حضره **احمد ابراهيم عبد الله** (الذي اصبح [فيما بعد] استاذاً للتاريخ في ثانوية جول جمال في اللاذقية ، ثم في جامعة تشرين . وكان شاعراً كبيراً واصيلا من شعراء العربية ، وخاصة في اللون المرح الساخر من الشعر) .

« هاجم الثلاثة الزعيم المذكور ، بمن فيهم ابنه . انتقدوا تصرفاته ، ورووا الكثير من (فصوله) . **كنت كلي آذانا صاغية** . ولم اشك بحديثهم ، فشهادة الاهل (بألف شهادة) .

« وفي مقابلات تالية مع مختلف العينات ، التي تؤم (بيت غريب) ، **توفرت لدي معلومات كثيرة ، وسمعت روايات قاتمة :**

« شخص امي من منطقة الحفة ، نصبه الفرنسيون رباً على فلاحي الجبال من أبناء **عشيرته** ، يعبدونه ، وينصاعون لاشارة من اصبعه (...) .

« مصادرة الحبوب بأسعار بخسة ، كي يقدمها الفرنسيون لجيوشهم وجيوش حلفائهم ، تاركين الشعب جائعاً ، مما اضطر الكثير من المواطنين في القرى ، وخاصة في منطقة الرب ، الى ان يأكلوا الكلأ ، فتسمم كثيرون منهم ، ومات الآلاف ضحية الفقر والجوع (...) .

« بعد **اقل من اسبوعين** غادرت اللاذقية الى دمشق ، وقد **تحسنت صحتي** ، والاهم من ذلك تحسنت معارفي . وما دار في بالي ـ باي شكل من الاشكال ـ انني ، في يوم من الايام ، سأختار هذه المنطقة لسكناي ، ولاستئناف الكفاح من أجل الحرية »(٥) .

باء / تقويم سريع للزيارة الاولى :

من اجل القاء مزيد من الضوء على زيارة وهيب الغانم الاولى الى اللاذقية ، وعلى سبيل التلخيص ايضا ، نلاحظ ما يلي :

١ ـ لم تكن الزيارة في الاصل من اجل العمل الحزبي ، وانما من اجل الراحة والاستجمام ، واسترداد الصحة والعافية ، ومع ذلك فقد اسفرت عن كسب مواطنة متحمسة لأفكار البعث العربي.

٢ ـ كانت الزيارة قصيرة دامت اقل من اسبوعين .

٣ ـ في اثناء هذه الزيارة لم يخطر ببال وهيب الغانم باي شكل من الاشكال انه سيعود الى اللاذقية ليسكن فيها ، ويتخذ منها قاعدة ومنطلقا للعمل الحزبي ونشر مبادىء (البعث العربي) .

٤ ـ في غضون هذه الزيارة ـ على قصرها ـ تكونت لديه صور قاتمة عن الاوضاع السائدة في منطقة اللاذقية (العشائرية ـ سلوك زعماء العشائر المستهجن حتى من اهلهم واقربائهم ـ الفرنسيون يستخدمون احد هؤلاء ويصطنعون منه رباً على ابناء عشيرته ـ هؤلاء يقتاتون بالاعشاب ويموتون فقراً وجوعاً) .

□ حول الحزب القومي العربي .. ايضا □

اما الحزب القومي العربي (السري) ، فقد تأسس في مؤتمر سري ، عقد في منزل محمد علي حمادة في بيروت ، عام ١٩٣٤ ، للعمل « دون ضجة لتحرير اجزاء الوطن العربي ، وتوحيدها في دولة واحدة ، من المحيط الى الخليج » . وكانت خطة عمل الحزب تقتضي ان ينتسب اعضاؤه الى الاحزاب العلنية ، على ان يظل ولاؤهم الاول للحزب القومي العربي ، وان يبذلوا كل ما بوسعهم لتوجيه نشاط هذه الاحزاب لخدمة اهداف حزبهم السري ومبادئه . ولعل خير مثال على ذلك ان الحزب القومي العربي السري أوعز الى احد اعضائه ، وهو فؤاد مفرج ، الذي كان استاذا في الكلية الامريكية في بيروت ، بالانتماء الى الحزب السوري القومي ، والتظاهر بالولاء لهذا الحزب ، واطلاع اخوانه في الحزب السري على دخائل الحزب العلني ، الذي انتمى اليه . وقد نهض باعباء المهمة التي اوكلت اليه بنجاح ، وظل كذلك حتى كشف الحزب السوري القومي امره ، فطرده من صفوفه بعد ان كان قد بلغ اعلى المراتب الحزبية ، وبات في عداد العمد والامناء .

جيم / انتخابات ١٩٤٣ النيابية :

قبل ان يتحدث وهيب الغانم عن سفرته الثانية الى اللاذقية، يمهد لذلك بالحديث عن الانتخابات النيابية التي جرت في سورية عام ١٩٤٣ ، فيقول :

« ربيع هذا العام (١٩٤٣) اعلنت السلطات الفرنسية عن اجراء انتخابات نيابية في سورية، ترشح لها الرجعيون، والاقطاعيون، ومحترفو السياسة ، وجماعة الكتلة الوطنية وحزب الشعب . ولكن زكي [الارسوزي] وصفهم جميعا بانهم **صنائع الفرنسيين ، لافرق بينهم الا ان بعضهم يعمل علنا وبعضهم يتخفى . كان يرى ان فرنسا تمهد (لازلامها) وضع اليد على الاستقلال ،** الذي سترغمها على منحه للبلاد مقاومة الشعب العنيدة في الداخل ، والاوضاع السياسية المستجدة في الخارج .

« مضى يهاجم بعنف عمليات الانتخاب . يتساءل بمرارة : كيف يمكن ان توكل مصالح الشعب الى المنتفعين ببؤسه ؟ مهمتهم كبت تطلعاته ، وعرقلة نهضته ، والاستمرار في سلبه ، واباحة خيراته للمستعمرين ، والاكتفاء بحصتهم الهزيلة منها .

« في غمرة النشاط الانتخابي (...) علمنا ان **ميشيل عفلق حاول الدخول في قائمة الكتلة الوطنية ، املا في ان يؤدي ذلك الى نجاحه ،** وانه اذاع بيانا يبرر مثل هذا السلوك ، **وان زعماء الكتلة رفضوا طلبه .**

« وجد زكي [الارسوزي] في هذا الموقف الانتهازي مناسبة جديدة لدعم رأيه ، والتوكيد على زيف ما يدعيه هذا الرجل من وطنية وتقدمية .

« على ان الكتلة الوطنية نجحت باكثرية كافية ، وانتخب المجلس **فارس الخوري** رئيسا له ، **وشكري القوتلي** رئيسا للجمهورية ، **وازدادت ، مع الوضع الجديد ، شراسة السلطة ازاء زكي** ، تأكيدا للمثل القائل (زلمة الآغا اشد قوة بكثير من الآغا) » .

وبمناسبة الحديث عن انتخاب **شكري القوتلي** رئيسا للجمهورية ، يروي الدكتور وهيب الغانم التعليق الساخر المشهور، الذي علق به زكي الارسوزي آنذاك على هذا الانتخاب ، فيقول :

« كان زكي يرتاد مقهى البرازيل قبل الظهر ، والهافانا بعد الظهر ، وتحداه أحد مؤيدي السلطة بنجاح القوتلي الساحق، فروى

له زكي ــ وظل يروي ــ حكاية الحيوانات التي اجتمعت لاختيار ملك الغابة ، فجاءت بطير اسمه (طير الملك) ، واطلقته ، على ان يكون من يحط على راسه ملكا . ولما كان الحمار اقلهم حركة ، وابلدهم حسا ، فقد حط الطائر على راسه ، واصبح ملكهم . وكان يشفع ذلك بقوله : بحث الفرنسيون عن اكثر زعماء (الكتلة) بلاهة، وعينوه رئيسا »(٦) .

دال / السفرة الثانية الى اللاذقية (تموز ١٩٤٣) :

ثم يتابع وهيب الغانم ذكرياته ، فينتقل الى الحديث عن سفرته الثانية الى اللاذقية ، فيقول : « اواخر حزيران ، انتهت فحوصنا ، ونجحت الى الصف الاخير (السنة السابعة : سنة التمرين في اي مشفى حكومي ، دون اية دراسة نظرية) .

« كان امامي صيف كامل علي ان املاه .

« في اللاذقية (المشفى الوطني) ، يحق لي ان امضي سنة التدريب فيه ، **وسليمان العيسى** سيذهب الى اخيه **محمد العيسى،** المعلم في قرية (القنيري) من اعمال جبلة . **ومحمد غريب** سيعود الى بيت عمه في المدينة ذاتها . وباستطاعتي الاعتماد على صداقتهم ، واعتبار بيتهم مركزا لاقامتي ، احل فيه وأرحل متى اشاء .

« ففيم لا أمضي ، اذن ، مع الصديقين ؟

« ... كنت اتقن التضميد ، وذرق الابر في العضل ، وفي الاوردة ، وتحت الجلد ، وقياس الحرارة والضغط ، وبزل الجنب والنخاع الشوكي . باختصار ، كل الجراحة الصغرى ، وكل مايمكن ان يقوم به ممرض . كما انني لم اتوان عن معالجة اولية للامراض كالبرداء ، والاصابات الصدرية الخفيفة (...) .

« هذه العوامل مجتمعة شجعتني على محاولة قضاء الصيف في عمل مزدوج : تقديم ما استطيع من خدمات للناس ، وتلمس دروب ممكنة **لنشر الحزب ومبادئه .**

« درت على اكثر صيدليات دمشق ، وطلبت ــ الاصح تسولت ــ من اصحابها عينات دوائية ــ باعتباري مشروع طبيب ــ وكانت مفاجاة سارة لي ما لقيت منهم من تلبية كريمة ، ما كنت لاتوقع جزءا منها : كيسان مكتظان بالادوية ، التي رحت اتصور سلفا ماستمنحه من عون واسعاف للمحتاجين .

« اوائل تموز ، اخذت حقيبتي العتيقة المتواضعة ، وضعت

فيها كل ما املك ، ومضينا سوية ، مع ذخيرتنا الدوائية ، نضرب في المجهول »(٧) .

دال / واحد ـ اللوحة الاولى على مفرق (دوير الخطيب) :

يستأنف وهيب الغانم وصف رحلته ، فيقول : « قبيل الغروب ، على مفرق **دوير الخطيب** ، فوجئنا بتوقف سيارتنا مرغمة امام جمهور غفير من رجال ونساء واطفال ، تجمهروا حول سيارة كبيرة ، وعرقلوا السير . بعضهم يغني ويزغرد ويصفق ، وبعضهم يولول ويستغيث . لم نعد ندري ما اذا كنا في مأتم او في عرس .

« نزلنا نستجلي الحكاية . وشدّ ما كان ذعري ودهشتي عندما علمت موضوعها : **الآغا** فلان جمع من **عشيرته** قرابة سبعين فتاة ، بين ٦ ـ ١٤ عاما ، كي يرسلهن الى **بيروت** ، **حيث يبعن في اسواق النخاسة** .

« الكبيرات ، اللواتي كن على بعض الوعي ، كان يرعبهن المستقبل المجهول ، فيولولن ، والصغيرات كن يتوهمن انهن في نزهة مرحة ، او سيران ، او عيد ، فيهزجن ويصفقن .

« صرت اتمنى لو تقع عيني على امثال هذا الزعيم ، ترى هل له فعلا وجه انسان ؟ اخيرا تبدد الموكب (التجاري) ، ومضى الباص بضحاياه الى المجزرة . بكى قلبي وسجلت المشهد بحروف من نار »(٨) .

لا ريب في ان هذه اللوحة ، التي رسمها قلم وهيب الغانم ، تميط اللثام عن الظروف اللاانسانية التي كان المواطنون في محافظة اللاذقية يعيشون في ظلها ، وهي ظروف يكاد الخيال يعجز عن تصورها : نخاسة علنا ، وفي القرن العشرين ؟ وعلى ايدي من ؟ على ايدي زعماء العشائر ؟ واذن فان الصورة القاتمة التي استخلصها وهيب الغانم في زيارته القصيرة في العام ١٩٤٢ لا تعد شيئا بالقياس الى ما رآه في لوحة (باص الرقيق الابيض) من هول وبشاعة . وان بوسعنا ان نجزم ، دون ان نخشى الوقوع في الخطا ، بان هذه المشاهد المرعبة التي رآها وهيب الغانم بأم عينيه ، وامثالها ، كانت وراء قراره بالعمل في محافظة اللاذقية ، وتصميمه على تكريس حياته للنضال نضالا لا هوادة فيه للقضاء على هذه الاوضاع المشينة ، التي تعد وصمة عار في جبين الانسانية .

دال / اثنان ـ جولة واسعة سيرا على الاقدام :

يتابع وهيب الغانم حكاية زيارته الثانية لمحافظة اللاذقية ، فيقول :

« وصلت الى اللاذقية . استقبلني **محمد غريب** واولاد عمه بما هو اكثر من الترحيب (...)

« بعد ايام من اقامتي الجديدة ، خطر في ذهني القيام بجولة عامة في ربوع المنطقة (...)

« عرضت الفكرة على **محمد غريب** ، فتحمس لها ، الا انه عدد مصاعبها الكثيرة . كان علينا ان نسير في دروب وعرة ، واماكن مجهولة ، يعترضنا في كل خطوة مخاطر بشرية وطبيعية . اهم من ذلك كان محمد يعلم علم اليقين انني لن اسير فيها طبيبا فحسب ، وانما سادعو بلا هوادة الى ما اؤمن به . ولئن لم تعترضنا السلطات مباشرة ، بسبب ترحالنا الدائم ، فقد يعترضنا الانتهازيون ، والمنافقون ، والعملاء (...)

« بعد نقاش لم يطل ، تجاوزنا الصعاب وقررنا المضي .

« قال : لي اخوال في **القرداحة** (والدته من آل الخير في القرداحة) . رفيقنا يوسف عيد [الخير] واحد منهم . واكثرهم متعلمون ، وعلى قدر كاف من التفهم والدماثة . طبعا سيرحبون بنا كثيرا ، ولكن الاهم هو اننا نستطيع الاستفادة من آرائهم وخبرتهم فيما نزمعه من تجوال .

« باشرنا جولتنا ، **واستمرت ثلاثة اشهر** ، بدلا من بضعة اسابيع كما ظننا . كانت محطتنا الاولى ، كما اقترح محمد ، **القرداحة** . اقمنا فيها بضعة ايام ، محاطين بجو من الود ، وكرم الضيافة ، واهم من ذلك ، **تزودنا بنظرة مجملة عن المحافظة** (...)(٩)

« اما فيما يخص جولتنا ، فقد علمنا ان علينا ـ كي نحقق الحد الاقصى من اتصالنا بالناس ، وبالامكنة ، ان نسير بخطوط منكسرة ، من الجبل الى السهل ، ومن السهل الى الجبل ، اي من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، ثم بالعكس . كان علينا ان نهبط الوديان ، ونصعد الجبال ، اذا لم نرد الاختصار ، وحرصنا على مزيد من الاطلاع .

« نصحنا بعضهم بالاقتصار على مراكز النواحي ، وبعض القرى الكبيرة ، ولكننا فضلنا برنامجنا التفصيلي . وذات صباح

ودعنا القرية [القرداحة] شاكرين ، **بعد ان ربحنا فيهـا اصحابا جيدا ، والاهم حزبيين جيدا** . كان **محمد علي عيد الخير** (ابن اخ يوسف عيد الخير) في الثنوية ، نشيطا وطيبا .. اصبح صديقا شخصيا ، والاهم من ذلك اصبحت **حماسته للبعث بدون حدود .**

« **في ايه قرية ندخلها** كنا ، طيلـة بقائنا فيهـا ، نبحث عـن المرضى . لم نكن نكتفي بمن يجيء الينا ، بل كنا نسعى الى الكثيرين منهم في بيوتهم . كنا نحرص على ان نملأ السـاعـات بالعمـل ، او **بالاطلاع ، او بالدعاية لافكارنا** ، مباشرة او بصورة غير مباشرة .

« عندما كان يعرض علي بعضهم اجـرة ـ ونادرا ما حصـل ذلك ـ كنت اشعر بكثير من الخجل ، وبشيء من الاهانة ، فانا لم احصل بعد على شهادتي ، ثم انني اجول للتدرب ، والتعرف وتقديم العون . **واهم من ذلك كله ، التبشير بالبعث وبمبادئه** »(١٠) .

كانت التفاصيل في جولة وهيب الغانم كثيرة ومتنوعة ، وتختلف من منطقة الى اخرى . ولكن هـذا الاختلاف في التفاصيل لم يكن ينفي التشابه العميق في الاوضاع والظروف ، الذي لاحظه في اثناء انتقاله من مكان الى مكان ، ومن قرية الى اخرى . وهذا ما يلخصه وهيب بقوله :

« **في كل قرية** كنا نجد المظاهر الاجتماعية ، والاقتصاديـة ، والفكرية ، تتساوى ، او تتشابه الى ابعد حد . في كل مكان كنا نجد النوازع والهموم ذاتها ، تزداد كثافتها او تقل ، وتزداد ظواهرها او تقل ، ولكنها لاتختلف الا قليلا :

« **الاقطاع ، التخلف ، الفقر الاسود ، الخمول ، جدب الارض ، الزعامات المفروضـة ، الاستغلال ، الاضطهاد ، انـواع التمزق ، الابتزاز** ، وباختصار كل مايمكن أن توصل اليه قرون من التخلف والاحتلال الاجنبي » (١١) .

تلك خلاصة الاوضاع البائسـة التي رآهـا وهيب الغانم في جولته على قرى المحافظة . ويصف وهيب تعطش المواطنيـن الـى سماع الكلام الجديد ، الذي كان يلقيه على مسامعهم . والـذي لم يسمعوا مثله من قبـل ، ويعرض نماذج ممـا كان يقولـه للناس في القرى **ضد « التعصب الذميم دينيا ، أو طائفيا ، أو عشائريا »** . كان كلاما لايعترف بانصاف الحلول ، ولا يعرف المساومة . لاننـا « تعلمنا من زكي ان اي موقف مساوم خسارة للقضيـة ، وتضليل للشعب » .

وسنورد في مايلي مقتطفات مـن تلك الاقـوال التي كـان يلقيها على مسامع المواطنين من الفلاحين في القرى ، ونحن نـدرك

☐ حول « الحزب القومي العربي » .. ايضا وايضا ☐

انتشر الحزب القومي العربي (السري) في سوريةولبنان والعراق وفلسطين وشرقي الاردن والكويت . مـن مؤسسي هـذا الحزب السوريين عبد الرحمن الجوخـدار ، وفهمي المحـابري (كانا عضـوين في اللجنـة العليـا لعصبة العمـل القومي) ومسلم الحافظ ، ومنير الريس (وهما من اعضاء اللجنـة الاداريـة في مكتب الشباب الوطني ، الذي كان تابعـا للكتلة الوطنيـة) ، وسعيد فتـاح الامام . ومـن قياديـيه البارزين المهندس هـاني الصلح ، والدكتـور قسطنطين زريق ، والدكتـور فريد زين الديـن ، وفـؤاد مفرج ، وواصف كمال ، وكاظم الصلح ، وتقي الدين الصلح ، وعادل الصلح ، وشوقي الدندشي ، وعادل عسيران ، والدكتور محمد علي حمادة ، وممـدوح السخن ، وفريد يعيش وغيرهم . ابرز الذين انتسبوا الى الحزب من العراق: المحامي يونس السبعاوي ، والدكتور محمد حسن سلمان ، وصديق شنشل ، والدكتور جابر العمر ، وسلمان الصفواني ، وموسى الشهبندر ، والمحامي عبد الرزاق شبيب ، ونائبا الموصل جمال المفتي ، وسعيد الحاج ثابت ، والضباط العراقيون المقداء : صلاح الدين الصباغ ، ومحمود سلمان ، وفهمي السعيد ، وكامل شبيب ، الذين كان يطلق عليهم اسم (المربع الذهبي) . ومن فلسطين درويش المقدادي ، واكرم زعيتر . ومن سورية فائز الدالاتي ، وزهير الدالاتي ، وعلي عبد الكريم الدندشي ، وصبحي العمري ، ومحمود الهندي ، وانور القطب ، والدكتور عزة الطرابلسي ، وعبد الرحمن فارس عيد ، ونصوح الدقاق ، وبشير تللو (من دمشق) . وعثمان الحوراني ، وجميل العلواني ، وسعيد الخاني ، وعلي عدي (الذي انتخب عضوا في القيادة القطرية لحزب البعث عام ١٩٥٧) ، وسعيد الترمانيني (من حماه) . واسعد محفل ، واحمد طلس (من حلب) . وجـلال السيد (انتسب عام ١٩٢٩ ، وهو الذي تولى رئاسة المؤتمر التاسيسي لحزب البعث في نيسان ١٩٤٧) ، وسعيد السيد ، وعبد الكريم الفرحان الفياض ، وعبد القادر الفرحان الفياض (من دير الزور) . وسليمان المعصراني ، وعبـد الهادي المعصراني ، والدكتور فرحان الجندلي ، وشاكر السباعي (من حمص) . واسعد هارون ، وعدنان الازهري ، وجمال علي اديب (من اللاذقية) . في العام ١٩٣٦ ، نجح الحزب في تاسيس (النادي العربي) في دمشق ، وفي تمويله . وقد كانت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ، في ايار ١٩٤١ ، ابرز ما نهض بـه الحزب من اعمال . على ان هذا الحزب اخذ يتراجع ، بعد انهيار الثـورة ، حتى تلاشى بالتدريج .

ادراكا تاما ان من المحال او شبه المحال ان تكون ذاكرة وهيب قد احتفظت بنصوص تلك الاقوال كما هي ، وبالحرف ، ولكننا على مثل اليقين ، مع ذلك ، بأن المنطق الكامن فيها واضح وجلي ، انه منطق (البعث) ، المنطق القومي العربي الاشتراكي ، وهذا يصعب على المرء ان ينساه .

ويورد وهيب مثالا على ما كان يلقيه من كلام على ابناء الريف ، فيقول :

« لسوف تستقل سورية ، وتصبح قلب العروبة النابض . ستحمل الدعوة الى الوحدة العربية ، وستمضي بكل طاقاتها الى تحقيقها .

« سينعم شعبنا العربي كله بالاستقلال ، ويطرد من ارضه جيوش المحتلين ، ليندفع بأقصى سرعة الى استئناف مسيرته الحضارية ، ويعوض سني الجهل والخمول (...) .

« المحتلون يجب ان يطردوا ، بنضال الشعب ، من كل الارض العربية . **الزعماء الذين يبذرون في صفوفكم انواع الفرقة والتمزق نهارا ، تجدونهم مساء ، في ابهاء الفنادق والقصور ، اخوانا يتناولون المآكل والمشارب ، ويتبادلون المجاملات برعاية موظف فرنسي تافه** . انهم موحدون ضد الامة وتاريخها ومستقبلها ، يتفننون بخلق الاكاذيب ، وافتعال الحوادث بما يؤمن لهم ولسادتهم استمراركم على التفتت ، وابتعادكم عن كل ما يجعل منكم قوة في وجه اللصوصية والطغيان .

« ستشرق الشمس ذات يوم ، **فاذا انتم تملكون الارض ، التي ستخصب بعرق جبينكم ، وتشكلون القوة الحقيقية ، التي تحفظ حريتكم واستقلال وطنكم .**

« تلك هي المكاسب ، التي يجب ان تندفعوا اليها غير هيابين .

« القوا في غمار المعركة بكل شيء ، فلئن واجهتكم اسوا الاحتمالات ، وتوالت النكسات ، فلن تلقوا اكثر مما انتم فيه من ظلم وهوان . اما اذا حققتم النصر ، مهما تطل سنو الكفاح ، فلسوف تربحون ، والى الابد ، الخبز والحرية » (١٢) .

لو القي هذا الكلام على مسامع الناس ، في وقتنا الحاضر ، لبدا كلاما عاديا ، بل لبدا مرددا ومعادا لا جديد فيه ، غير ان الانصاف يوجب علينا ، اذا اردنا ان نعطي هذا الكلام قيمته الحقيقية ،

ان نضعه في زمانه ومكانه ، اللذين قيل فيهما ، وان نأخذ بالحسبان الظروف التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية ، التي كانت سائدة عندما كان مثل هذا الكلام يلقى على مسامع الفلاحين البسطاء .

كان مثل هذا الكلام يلقى والبلاد مازالت ترزح تحت وطأة الاحتلال الفرنسي ، وما فتئت تخضع لسطوة المستشارين الفرنسيين . وكان يوجه الى بيئة اجتماعية تحني رأسها لزعماء العشائر من الاقطاعيين والرجعيين المتعاملين مع الاجنبي ، وفي مجتمع نخر فيه الجهل ، وعششت الطائفية فيه ، وباضت وفرخت . وفي زمن الحرب العالمية الثانية ، التي كانت رحاها ما انفكت تدور ، حاملة معها الى بلادنا جيوش احتلال جديدة من مختلف الصنوف : (انجليز ، واستراليين ، وهنودا ، ونيوزلنديين ، وغيرهم) ، جيوشا صادرت القمح من بيادر الفلاحين ، فخلت بيوتهم من الخبز ، واكرههم الجوع على ان يقتاتوا بالعشب كالماشية .

في مثل هذه الظروف يختلف الامر ، ويغدو مثل هذا الكلام غير معاد ، بل يصبح جديدا كالدهشة ، ساطعا كالنور في دياجير الظلام ، نديا كالامل ، حارا كالرجاء ، محرقا كالنار تنشب في كومة من الحطب اليابس .

□ و « الحزب العربي القومي » ... حزب ثالث □

اما الحزب « العربي القومي » ، فهو حزب علني ، تكون بعد الانشقاق ، الذي قام به الدكتور ظافر الرفاعي ورمزي الآلاجاتي عن الحزب القومي العربي (السري) ، في مدينة حلب ، بدوافع انتهازية . فقد عمد الرفاعي الى تعديل في اسم الحزب يكاد لا يلفت الانتباه ، وادخل تعديلا طفيفا على مبادئه في المجال الاقتصادي ، وجعل الحزب علنيا ، متوهما بان سائر الفروع ستتبعه . غير ان قيادة الحزب السري عممت طرده على الفروع ، التي تصدت له بقوة ، ولا سيما جلال السيد في دير الزور . فاخفق حزب الرفاعي في الامتداد خارج مدينة حلب ، وظل محصورا في نطاق ضيق فيها . وظل الامر يسير على هذا المنوال ، الى ان نفض الدكتاتور اديب الشيشكلي الغبار عن ظافر الرفاعي ، بعد اكثر من عشر سنوات ، وعينه وزيرا للخارجية .

وغني عن القول ان هذا « الحزب العربي القومي » لايمت باية صلة الى الحزب القومي العربي ، الذي اسسه الارسوزي عام ١٩٣٩ .

حال / ثلاثة ــ اللوحة الثانية في (القرمدة) :

من الطبيعي ، بعد هذا كله ، ان نتساءل عن وقع مثل هذا الكلام الخطر في نفوس المواطنين من ابناء الريف ، وهو كلام قد يكون مجرد الاستماع اليه جريمة لاتغتفر . سنترك الجواب عن هذا السؤال لوهيب الغانم ، الذي قدم لنا الجواب في لوحة ناطقة تصور ماجرى معه في قرية (القرمدة) . والقرمدة ، كما يعرف بها وهيب ، « قرية شرقي القدموس ، من اعمال بانياس ، جنوبي اعلى ذروة في جبل الشعرة . سكانها علويون ، وهي قرب (كاف الجاع)، مكان المعركة الشهيرة بهذا الاسم بين **الشيخ صالح العلي** وقوة من الفرنسيين ابان ثورته عليهم ».

ولندع وهيب الغانم يرسم لنا اللوحة بقلمه . يقول : « اكثرهم كان يغلي حماسة . قلائل كانوا يهربون ، وكأنهم كانوا يخشون ان يكونوا شهودا على جريمة .

« نادرا ، كان ينبري **غبي او عميل** ، فيحاول اثارة الحجج الكاذبة ، والاهواء الذليلة .

« مازلت اذكر ان احدهم وقف في احد اجتماعاتنا الشعبية ، في قرية (القرمدة) ، ليقول بلهجة هجومية : مليح والله ، نطرد الفرنسيين ، الذين يحموننا ، ونترك السنيين يذبحوننا .

« قلت له : لن اناقشك في حجتك الواهية ، بل سافترض انها صحيحة ، فما وجه الغرابة فيها ؟

« عندما تتألف عائلة من عشرة ابناء ، ويدهمها خطر ماحق ، ما ضر ان ينبري واحد منهم ، فيستميت لانقاذ الباقين ؟

« العلويون يشكلون واحدا من عشرة من الشعب السوري ، سيكون مجداً لهم ان يسلكوا سبيلا يؤدي الى حرية وطنهم ، ولكان التاريخ سيسجل لهم شرف موقفهم وصوابه . فاي انسان لايضحي بنفسه لانقاذ تسعة من ابناء عائلته المهددين ؟ وبالنسبة لي ، لو ضمن لي اي ضامن استقلال سورية مقابل استشهاد جميع العلويين لوافقت فورا ، ولبدات بابي وانتهيت بنفسي .

« انك ياأخ ــ ومن وراءك ــ لستم كل العلويين ، والسنيون الضالون او المضللون مثلك ــ ومن وراءهم ــ ليسوا كل السنيين .

« **انني من حزب البعث ، ومن المؤمنين بالعروبة** ، واعتقد ان الاكثرية الساحقة من ابناء شعبنا يعرفون بأن تربة هذا الوطن مجبولة بدماء المناضلين من كل دين وطائفة .

« كان المنطق القومي ، منطق الحقيقة والتاريخ ، وكان يمس شغاف الناس ، فتحس قلوبهم بسحره ، قبل ان تأنس قلوبهم بصوابه .

« لقد تجاوب اهل القرية بحماسة للحديث ، وهرب الدعي خشية انفجارهم .

« وقد اصبحت [القرمدة] ، **فيما بعد** ، قلعة من قلاع **البعث العربي الاشتراكي** ، وقدمت مناضلين وشهداء ، يظل نموذجهم هاديا امام اجيالنا . منهم علي عباس حرفوش ، واحمد حرفوش ، وعلي مصطفى حرفوش ، ومحمد حرفوش » (١٣) .

☐ حول الموقف من شكري القوتلي ☐

لاحظ احد القراء ان حلقات هذه السلسلة قد الحقت ، في رايه ، ظلما فادحا بالرئيس الراحل شكري القوتلي ، وكانت شديدة القسوة في الحكم عليه . وقد رددنا عليه باننا لم نتخذ في هذه الحلقات اي موقف من الرئيس القوتلي ، بل اقتصرنا على دور المؤرخ الحيادي ، الذي الى على نفسه ان يسجل الوقائع التاريخية كما هي ، فنقلنا بامانة موقف زكي الارسوزي منه ، وحملته عليه ، وكذلك موقف ميشيل عفلق ، ومحاولته التقرب من القوتلي ، وكسب رضاه في انتخابات ١٩٤٣ ، كما عرضنا حملة (البعث العربي) الشعواء على القوتلي في ٨ آذار ١٩٤٥ ، لرفضه مشروع سورية الكبرى ، وانتقامه من (البعث) بنفي صلاح البيطار الى الميادين . وهذه المواقف كلها ـ بصرف النظر عن الصواب والخطا فيها ـ اصبحت وقائع تاريخية ، ليس من الامانة تجاهلها او اخفاؤها . ثم ان حزب البعث لم ينفرد بالوقوف موقفا سلبيا من القوتلي ، ذلك ان كثيرين كان رايهم فيه اقسى من راي (البعث العربي) . وهاهو محمد كرد علي ، على سبيل المثال لا الحصر ، يقول فيه : ان « رئيس الجمهورية [القوتلي] يستهدي النواب ... ويهدي هو لمن يريد استتباعهم من مال الامة » ، وانه « زور في انتخاب النواب » و « خان الدستور » . و « مما يؤخذ عليه اصطناع السفلة والاوغاد ، يغدق عليهم الاموال والعطايا ... ويوزع عليهم قسطا عظيما من الحنطة والارز والسكر ... وقد جعل من أولئك الرعاع عشراءه وجلاسه » و « استكثر من الموظفين الفاسدين ... يجود على بعضهم بعدة رواتب » و « عطل الحدود عملا بنصيحة امه » و « كان يتدخل حتى في تعيين الفراشين والاذنين » . (انظر محمد كرد علي : المذكرات ، ج ٣، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٤٩ ، ص ٩٠٠ ـ ٩٠١) .

دال / اربعة ـ اللوحة الثالثة في (العتيقة) :

ويتابع وهيب الغانم رواية المآسي الفاجعة التي شاهدها إبان جولته الواسعة في قرى المحافظة . فيرسم لنا بقلمه اللوحة العجيبة التالية :

« في قرية (العتيقة) ، في الذرى العالية ، على الحدود بين بانياس وجبلة . نزلنا ضيوفا على **الشيخ علي حسن ناصر** . احببنا كثيرا ، واحببناه كثيرا . وظل مدى حياته منسلخا عن طبقته الدينية والعشائرية ، مناضلا الى جانب التقدمية والاشتراكية .

« عندما غادرنا قريته صباحا ، فوجئنا بمنظر فاجع :

« قافلة مشوشة . متقطعة . من الدواب والرجال والنساء والاطفال . منهم على الاقدام . ومنهم على الحمير ، تواكبهم اسراب الدواجن ، وتطاردهم مجموعة من الدرك باعقاب البنادق . فتصيب بالاذى والوحشية المتاخرين منهم . سواء عن تلكؤ . او عما يشبه الاحتجاج .

« سألنا عن الخبر . وعرفنا الحكاية الاليمة :

« الإقطاعي فلان ادعى ملكيته قريتهم « الفنصلة » (اكثر القرى كان يملكها شخص . او عائلة من « اغوات » المدينة) . واقام الدعوى لاستلامها منهم . على الرغم من اقامتهم فيها . منذ مئات السنين . إقامة دائمة ومتواصلة . **لم ينتظر المحافظ ـ وهو من عشيرتهم واخد زعمائها ـ قرار المحكمة** ، بل لجأ الى القوة الغاشمة ، واصدر **امرا اداريا بطردهم من بيوتهم**، غير عابىء بمصيرهم وبمصير اطفالهم »(١٤) .

دال / خمسة ـ اللوحة الرابعة في (عين الشرقية) :

وتتابع المشاهد الأليمة ، وتتوالى اللوحات القاتمة الالوان . يقول وهيب :

« عند مغادرتنا (عين الشرقية) ، شاهدنا جمهورا صغيرا ، توقفنا نستجلي السبب :

« صبية في ريعان الصبا (١٧ ـ ١٨ عاما) . **يبيعها والدها** لتاجر من حلب بـ (٧٠٠) ليرة سورية . كان بينهم شيخ « دنذبوري » (كلمة نطلقها في انطاكية على التافهين ، الذين لا نفع فيهم) . قرأ الفاتحة ، **وبارك للمشتري بضاعته** . ناوله هذا (٢٥) ليرة سورية ، ومضى بفريسته الى المجهول »(١٥) .

دال / ستة ـ في (الجبيلية) :

وبينما يواصل وهيب الغانم رواية ما مر به في غضون جولته الشاملة ، يطل علينا مرة اخرى الدور العجيب ، الذي كان **زعماء العشائر** يقومون به في محافظة اللاذقية . يقول وهيب :

« في (الجبيلية) روى لنا اهلوها ـ وهم على درجة مرموقة من الثقافة ، بالنسبة لمحيطهم ، كثيرون بينهم الادباء والشعراء ـ قصصا عجيبة عن **زعيم عشيرتهم**، وفي الوقت نفسه قريبهم المباشر : **الابتزاز، الرشوة المباشرة وغير المباشرة ، الزكاة المفروضة ، والهيمنة بجميع اشكالها »(١٦)** .

□ مآخذ محمد كرد علي على الرئيس القوتلي □

من مآخذ محمد كرد علي على الرئيس القوتلي انه « حنث بيمينه » ، لانه اقسم على المحافظة على الدستور ، وانه توسل الى انتخاب النواب « بالضغط والتزوير » ، وانه « ابتاع اصوات بعض النواب » لانتخابه رئيسا للجمهورية ، وانه كان يغدق العطايا على « زعانف الاحياء » لكي يتسلطوا على الاهلين ، وانه سعى الى انتخاب احد اصحابه نائبا لانه مشهور بطول اللسان ، « وقال انا ما اخترناه لهذه المهمة الا لنسب غدا من يخالفون رأينا في المجلس » ، و « افرط في توظيف اهله وانصاره . . . ومنهم من كان يقبض عدة رواتب » ، وكان « يعبث بالقضاء » ، (يضرب محمد كرد علي امثلة على ذلك ، ويروي سلسلة من القصص المعيبة التي تعد سقطات مشينة بالنسبة الى القوتلي) . ويلخص محمد كرد علي مآخذه على القوتلي في عشرة عناوين ، نوجزها بدورنا ، على النحو التالي :

١ ـ العبث بالدستور ـ ٢ ـ الضغط والتزييف في انتخاب النواب ـ ٣ ـ ابتياع أصوات النواب ـ ٤ ـ اعتماده على ارباب الدعارة واعطاؤهم الاموال والسكر والارز والحنطة والبترول والمازوت من مال الدولة ـ ٥ ـ افساد طلاب المدارس باعطائهم رواتب من دواوين الحكومة ، دون ان يوظفوا ـ ٦ ـ ثقته العمياء بالجهلاء ـ ٧ ـ اسرافه البالغ باموال الجمهورية ـ ٨ ـ توظيف انصاره واعطاؤهم عدة رواتب ـ ٩ ـ اخذه بيد شاب من النواب [فيصل العسلي] حتى الف حزبا خطرا ـ ١٠ ـ لم يحقق مدة حكمه شيئا من اعمال الاصلاح . (انظر محمد كرد علي : المذكرات ، ج ٢ ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٤٩ ، ص ٩٠٦ ـ ٩٠٩) . وهذا كله يدل ـ ان دل على شيء ـ على ان المواقف التي اتخذها (البعث العربي) من الرئيس القوتلي لم تكن مواقف شاذة ومنعزلة ، وانما كانت هناك مواقف مماثلة لها ، ربما كانت اقسى واعنف .

دال / سبعة ـ العودة الى اللاذقية :

وصلت الجولـة ـ الملحمة الى مرحلتهـا الاخيرة ، وعن هذه المرحلة يقول لنا وهيب الغانم :

« واخيرا تابعنا سيرنا : الدالية ، لتون الجرد ، راس الشعرة ، « الشيخ محمد براس الامور »(١٧) ، القرمدة ، كاف الجاع ، حمام قنية ، برمانة ، البيضة ، حصن سليمان ، الدريكيش ، صافيتا (في صافيتا استضافنا القاضي آنذاك **محمود مهنا** ، شقيق حسين مهنا . وقد رفضنا الدعوة خشية على المضيف من حالتنا البائسة ، الا انه اصر ، وتكرمت شقيقته اكثر ، فتلافت من احوالنا ، وهيأت لنا هدية سخية عدنا بها الى دمشق) ، ثم ـ مرورا ببيت الشيخ يونس ـ الحميدية ، آخر قرية على الحدود بين سورية ولبنان ، حيث انهينا **جولتنا ، التي استغرقت قرابة مائة يوم .**

« وصلنا الى اللاذقية بحالة رثة : ثياب ممزقة ومتسخة ، حشرات مؤذية ، مقرفة ، ماكنا لنستطيع احتمالهـا ، لولا تدربنا عليها سابقا في دمشق ، احذية مهترئة ، انفصل اكثر مقدمها عن نعلها ، لكثرة تعثرنا بالصخور ، [و] نقب حذائي من الكعب ، فاستحق قصيدة طمنتيشية ، ما تزال مسجلة لحسن الحظ ، مطلعها :

نقبت « قندرتي » من كعبها   هل رايتم مثلها كعبا نقب (١٨) .

دال / ثمانية ـ اعتقال وهيب الغانم في اللاذقية :

كان مقدرا لهذه الجولة ـ الملحمة ان تنتهي بصدمة قوية ، كمثل المسرحيات ـ الفواجع ، تنتهي بمشهد آسر يستولي على الانتباه ويشد اليه الانظار . ذلك ان وهيب الغانم اعتقل في اليوم الثاني لوصوله الى اللاذقية ، وكان هذا ثالث اعتقال يتعرض له ، إذ سبقه اعتقال في انطاكية ، وآخر في دمشق . فلندع الكلام لوهيب الغانم ، ليروي لنا قصة هذا الاعتقال . يقول :

« في اليوم الثاني لوصولنا ، اعتقلت . اخذ مساعد في الدرك يستجوبني بعصبية وحقد .

« قال : لقد ارهقت فصيل الدرك ، الذي ارسلناه في طلبك وجعلته يتعقبك بدون جدوى ، وانت تفر من قرية الى قرية .

« قلت له : لم اشعر لحظة واحدة بأن احدا يلاحقني ، ولم

يخطر ببالي ان يلاحقني احد ، فما من سبب يدعو لذلك . لقد قمت بأعمال إنسانية ، عاينت المرضى بدون اجر ، ووزعت ما لدي من أدوية بدون ثمن .

« قال : كل هذه الاشياء تغطية لحقيقتك ، **فانت جاسوس الماني ، وكنت تدعو في جولتك الى التعصب القومي ، والى النازية** (عندما كانت السلطات فيشية لجؤوا الى اتهامنا بالديغولية ، وعندما اصبحت ديغولية عمدوا الى اتهامنا بالنازية) .

« كنت انتظر واتمنى ان يتهمني بما قمت به فعـلا من **دعوة الى العروبة ، والى استقلال الوطن ، وجلاء المحتلين** ، وكنت مستعدا لإجابات صريحة لا التواء فيها . واذا بي افاجا بافتراء لا يخطر على بال .

« كنت مهيا نفسيا لكل تضحية ، مهما بلغت ، ولكن **كمناضل في سبيل حرية العرب ويقظتهم ، لا كجاسوس ماجور لدولة اجنبية .**

« قلت له : انا من لواء الاسكندرونة ، وقد **فارقت مدينتي حفاظا على عروبتي** ، وايمانا بمستقبل شعبي . ولو كنت ارضى العمالة ، لما سعيت اليها في ديار الغربة ، بل لمارستها في مسقط راسي ، وبين اهلي . **انا ضد النازية ، ومع الحرية والديمقراطية . وما تحدثت به ، في كل قرية مررت بها ، لم يكن سرا .** كان جهارا وامام الجميع ، وهو لم يتعد نشر الايمان بأن شعبنا واحد ، ووطننا واحد ، وان **العروبة مصدر مقدساتنا** ، وان بلادنا العربية ، وفي مقدمتها سورية ، يجب ان تنال استقلالها ، وتحقق وحدتها . فاذا كان هذا ذنبا ، صغيرا او كبيرا ، فانا سعيد بتحمل ما ينجم عنه من

□ حنا غزال .. من انطاكية □

حين عددنا اسماء اعضاء حزب (البعث العربي) ، الذي اسسه الارسوزي (المناضل ، العدد ٢٤٧ ، آذار / نيسان ١٩٩١ ، ص ٤٧) ، اوردنا بينها اسم المرحوم حنا غزال ، ووضعنا الى جانب اسمه اشارة استفهام بين قوسين ، لنوحي باننا لانعرف عن صاحب هذا الاسم شيئا . وقد تفضل شيخ المناضلين الاستاذ صبحي زخور ، رفيق نضال الاستاذ زكي الارسوزي في لواء الاسكندرونة ، وصاحب جريدة (العروبة) التي كانت تصدر في انطاكية ورئيس تحريرها ، فافادنا بان المرحوم حنا غزال كان واحدا من اعضاء (عصبة العمل القومي) في انطاكية ، وواحدا من المناضلين الذين هاجروا من اللواء ، والتفوا حول الارسوزي في دمشق .

مسؤولية واذى . اما اتهامي بما لم اقم به ، بل انا ضده اكثر منكم، فسوف اقاومه بكل ما استطيع .

« بعد ٢٤ ساعة من توقيفي في النظارة ، افرج عني . ولست اعرف شيئا عن اسباب هذا الإفراج ، ربما كان احدها صراحتي ، وتصميمي على تبني موقفي الحقيقي والدفاع عنه ، لاالاكتفاء بدحض الافتراء » (١٩) .

دال / تسعة ـ اللوحة الاخيرة في اللاذقية :

كان وهيب الغانم يقوم ، بدون انقطاع ، بنزهه يومية على شاطىء البحر ، يتأمل زرقة المياه ، وهمسات الموج ، ولوحات الغروب . وبينما كان يقوم بنزهاته هذه ، على شاطىء البحر ، لفتت نظره لوحة فاجعة ، اخذت تتكرر امام عينيه كل يوم ، وتثير في نفسه احاسيس من الاشمئزاز والنفور ، هي على النقيض تماما من الاحساس بالجمال ، الذي تثيره في النفس زرقة المياه ، وهمسات الموج ، ولوحات الغروب . في وصف هذه اللوحة الفاجعة يقول وهيب الغانم :

« ... لا ادري كيف تنبهت لظاهرة اثارت فضولي :

« صبايا ريفيات ، يقفن على باب معين لاحد البيوت المرفهة ، تنطلق منه موسيقى كلاسيكية رائعة . يتبدلن دائما ، ولكن نسبة جمالهن مرتفعة وثابتة تقريبا . يحملن بأيديهن الهدايا ، وينتظرن .

« سألت ، والححت بالسؤال ، واستعنت بالفضوليين .

اخيرا اتتني الحقيقة البائسة : **المنزل للمستشار الفرنسي** (المقدم بوسيكيه يومذاك) ، والصبايا من مختلف القرى الخاضعة للرب المصنوع ، الذي سبق ذكره (كان الحاكم العام في اللاذقية شوفلر يبدي امامه الخشوع ، فينحني ويتظاهر بتقبيل يده، كي يزيد رهبته وهيمنته على الفلاحين الاميين المحرومين من اية ثقافة او تجربة) .

« يأتين بحجة الهدايا كل يوم ، فيبقى منهن من تنتقى للبقاء ، ويعود من يؤمر بالعودة (...)

« تابعت تقصي هذه الزاوية القاتمة : عشرات القرى في الجبل (في منطقة الحفة) كانت تزرع بالمخدرات ، وكانت النسبة الساحقة من تجارتها تذهب **الى جيوب الفرنسيين ، يحولونها الى ذهب ،** ويرسلون القسم الاكبر منه الى عائلاتهم في فرنسا . افلا يحق لهم ان يضحوا بكل القيم ، وبسمعة فرنسا نفسها ، في سبيل الذهب ؟ » (٢٠) .

هاء / اتخاذ القرار بالعمل في اللاذقية :

هذه الجولة الطويلة ، التي قام بها وهيب الغانم ، طالب الطب المنقول الى السنة السابعة والاخيرة ، من طرف المحافظة في الشمال الى طرفها الاخر في الجنوب على حدود لبنان ، واستغرقت صيف العام ١٩٤٣ كله ، هي التي حملته ، بما رآه بأم عينيه من بؤس وفقر مدقع ، ومن جهل وأمية ، ومن تحكم الاقطاع والعشائرية ، ومن تفشي الطائفية ، ومن جرائم السلطات الفرنسية ، على اتخاذه قرارا بالاقامة في اللاذقية ، وعقده العزم على العمل فيها ، **والدعوة الى مبادىء (البعث)** بين ابناء المحافظة . فلندع الكلام مرة اخرى لوهيب الغانم :

« اخذ يخطر على بالي ان اقضي سنة التمرين في اللاذقية . ذهبت فعلا الى مشفاها الوطني ،ولم احتج الى اكثر من يوم لكي اغير رأيي . كان **رئيس المشفى مقدما فرنسيا** (الكومندان ـ اي المقدم ـ ميشو) ، وهو انسان شبه امي ، ولا اعلم كيف حصل على شهادته (كان الفرنسيون يعطون رخصا ادارية لممارسة الطب وطب الاسنان ، يحق لحاملها أن يمارس المهنة ، وربما كان هذا الميشو احد حاملي الرخصة المذكورة) ، تافه ورخيص ، تقتصر زيارته للمرضى في الصباح على تذكيرهم ، واهليهم ، بأنهم لم يرسلوا اليه الهدايا المعهودة (الدجاج والبيض والبرغل) ، تاركا امر المعالجة للاطباء الآخرين ، ولم يكونوا يتجاوزون الثلاثة او الاربعة مع الاسف، بينهم جراح واحد ، والاخرون داخليون .

« سلوك المقدم ميشو كان طريفا ومضحكا . مع ذلك اعترف بانني لم احتقره بمقدار ما احتقرت اولئك الزملاء ، الذين كانوا يقفون امامه خانعين ، يقدمون الولاء والمدائح الذليلة .

□ منير سليمان ، ام شفيق سليمان ؟ □

لفت نظرنا شيخ المناضلين صبحي زخور الى اننا قد نكون اخطانا ، عند الحديث عن مؤتمر زحلة عام ١٩٢٤ (المناضل ، العدد ٢٥٨ ، كانون الثاني ـ شباط ١٩٩٣ ، ص ١٩) ، اذ قلنا ان منير سليمان حضر هذا المؤتمر ممثلا لعصبة العمل القومي . وقال لنا ان منير سليمان لم يكن ـ على حد علمه ـ من اعضاء العصبة ، بل كان شيوعيا . واضاف الاستاذ صبحي : لعل الذي حضر المؤتمر باسم العصبة هو شفيق سليمان ، الذي كان من (العصبيين) البارزين .

« عزفت نهائيا عن الافادة من علمه الغزير، واخلاقيته الرفيعة
« الصورة الشاحبة ، التي اعطتنيها زيارة ١٩٤٢ القصيرة توضحت في هذه الزيارة الجديدة والطويلة . ولقد ادى وضوحها الى **اتخاذي قرارا لون اقداري حتى نهاية العمر . لقد عزمت في نهايتها على ان اقيم في محافظة اللاذقية ، فمن الصعب ان اجد منطقة في الوطن العربي اكثر بؤسا** . صحيح ان الامراض البدنية متفشية فيها، إلا ان الامراض الاجتماعية والاقتصادية اكثر ضراوة واذى . **لئن نجح (البعث) فيها ، فلن يعود من الصعب ان ينجح في اي مكان آخر** (...) ما اريد ان اضيفه هنا هو ما يتعلق **بالتطور الفكري الذي طرا علي ، والذي ادى الى تلافي ما كان ينقصني بالنسبة للاشتراكية:** ازددت حماسة لها ، وازددت فهما لما يجعلها موضوعية وناجعة . بت اعلم ان **العواطف لا تكفي ، بل يجب بتر اسباب الظلم الاقتصادي من اساسها** ، والقضاء على الوضع ، الذي تتكىء عليه وتستمد منه نسغ دوامها وتعاظمها » (٢١) .

واو / تقويم سريع للزيارة الثانية :

اذا كان لابد من التعليق على زيارة وهيب الثانية الى محافظة اللاذقية ، بعد كل ما عرضناه من تفاصيل عنها ، فاننا نكتفي بتلخيص النتائج ، التي اسفرت عنها ، في النقاط والملاحظات التالية :

١ ـ كانت هذه الزيارة طويلة ، استغرقت صيف العام ١٩٤٣ بكامله ، وهذا ما اتاح لوهيب ورفيقه محمد غريب ان يقوما بجولة واسعة ، شملت جميع ارجاء المحافظة . وكان هذا كله فرصة له للاتصال بالشعب ، والتعرف على مآسيه بنفسه مباشرة ودون وسطاء .

٢ ـ اسفرت الجولة عن تأكيد ما رواه الاصدقاء لوهيب ابان الزيارة الاولى ، فقد لمس بنفسه الدور التخريبي الذي يقوم به المستعمر الفرنسي في المحافظة من ترسيخ الجهل والامية والطائفية، و «بكى قلبه » دموعا من نار امام ما رآه بام عينيه من جرائم زعماء العشائر ، الذين كانوا يمتصون دماء الفلاحين ، ويستغلونهم استغلالا اودى بهم الى الفقر المدقع ،والى هوان بيع بناتهم كالرقيق، وامام ما تحقق منه بنفسه من آثام اولئك الزعماء الذين كانوا ــ في الوقت نفسه ــ يغذون العشائرية ، ويرسخون الطائفية ، ويتزلفون للاجنبي .

٣ ـ خلص وهيب الغانم من جولته الى فكرة رسخت في ذهنه ، واقتنع بها اقتناعا عميقا ، الا وهي ان محافظة اللاذقية ربما كانت اشد بؤسا من اية بقعة اخرى من بقاع الوطن العربي . فقد انحط بها البؤس الى الدرك الاسفل ، وانحدر الشقاء بالمواطنين الجائعين فيها الى حضيض بيع بناتهم بيع العبيد في سوق النخاسة . وبلغ بهم الذل والهوان ان يصنع الحاكم الفرنسي لبعضهم ربا يخضعون لمشيئته ، ويكونون رهن اشارة من اصبعه .

٤ ـ وقد خلص وهيب الغانم ايضا ، تأسيسا على هذا كله . **الى ان في محافظة اللاذقية تربة خصبة لغرس افكار (البعث العربي) والدعوة الى مبادئه ، بل ربما خلص الى انها اخصب تربة في الوطن العربي للتبشير بالبعث ، وبث روح الثورة في نفوس الفلاحين** التعساء ، الذين دعاهم الى ان يغامروا بكل شيء . وان يلقوا كل مايملكون في اتون المعركة ، لانهم ــ حتى لو خسروا كل شيء ــ لن يخسروا شيئا سوى البؤس والذل والهوان . اما اذا كسبوا المعركة ، فانهم يكسبون كل شيء : الخبز والحرية والكرامة !

٥ ـ اتخذ وهيب الغانم ، في نهاية المطاف ، قرارا مصيريا : فعقد العزم على ان يجعل من اللاذقية مقرا لعمله : وان يفتتح فيها عيادته كطبيب ، وان يجعل منها **منطلقا للدعوة الى (البعث العربي) ومبادئه** . وقد كان هذا القرار منطقيا جدا ، اذ ماذا كان وهيب سيخسر ، لو القى كل ما يملك في غمار المعركة ؟ هل كان سيخسر اكثر من (بنطلونه) المهلهل ، الذي كانت مساحة الرقع فيه ــ على حد تعبيره ، هو نفسه ــ اكبر من مساحة القماش الاصلي ؟ اذن الى لهيب المعركة ، فلن تقوى ابواب الجحيم على ارادة الانسان !

□ □ □

بهذا ينتهي الحديث عن المرحلة الاولى من تاريخ تأسيس حزب (البعث العربي) في اللاذقية . وهي **المرحلة الاستطلاعية** ، وسنخصص الحلقة القادمة للكلام في المرحلة الثانية وهي **مرحلة النشوء والانطلاق** .

فالى العدد القادم

ـ الهوامش ـ

١ ـ انظر الحلقتين الثانية والثالثة من هذه السلسلة في (المناضل) ، العدد ٢٤٧ ، اذار / نيسان ١٩٩١ ، والعدد ٢٤٨ ، ايار / حزيران ١٩٩١ .

٢ ـ مذكرات شخصية مخطوطة وغير منشورة للدكتور وهيب الغانم ، ص٨٣ .

بعد هذا سنكتفي بالاشارة اليها باسم (المذكرات) واني لمدين بالشكر للدكتور وهيب الغانم ، لانه ـ بكرمه المعهود ـ اتاح لي الاطلاع على القسم المتصل بالفترة الواقعة بين ١٩٤٢ و ١٩٤٧ من هذه المذكرات .

٣ ـ م. ن. ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

٤ ـ كان محمد غريب يتردد كثيرا على (بيت السبكي) ، وان لم يكن من سكانه . وكان ميسور الحال بالقياس الى هؤلاء « السكان » ، فوالده الشيخ علي غريب كان ملاكا ثريا ، ومن الجدير بالذكر ان والد محمد غريب أرسله الى المانيا لدراسة الطب ، وذلك بعد أن تخرج محاميا ، فعاد طبيبا ، ومارس الطب بالفعل في موطنه في لواء الاسكندرونة .

٥ ـ المذكرات ، م. ن. ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

٦ ـ م. ن. ، ص ٦٨ . حول شكري القوتلي انظر التعليقين المؤطرين داخل النص في الصفحتين ٢٧ و ٢٩ .

٧ ـ م. ن. ، ص ٦٨ ـ ٦٩

٨ ـ م. ن. ، ص ٦٩ .

٩ ـ محافظة اللاذقية في ذلك الحين كانت تشمل محافظة طرطوس الحالية بكاملها ، ومنطقتي مصياف وتلكلخ التابعتين حاليا لمحافظتي حماه وحمص على التوالي ، وذلك علاوة على محافظة اللاذقية بحدودها في الوقت الحاضر

١٠ ـ المذكرات ، م. ن. ، ص ٦٩ ـ ٧٠ و ٧٢ .

١١ ـ م. ن. ، ص ٧٢ .

١٢ ـ م. ن. ، ص ٧٣ .

١٣ ـ م. ن. ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

١٤ ـ م. ن. ، ص ٧٤ .

١٥ ـ م. ن. ، ص ٧٤ .

١٦ ـ م. ن. ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

١٧ ـ اسم معقد وغريب لمزار في أعلى الجبال .

١٨ ـ المذكرات ، م . ن ، ص ٧٥ .

١٩ ـ م . ن ، ص ٧٥ .

٢٠ ـ م . ن ، ص ٧٦ .

٢١ ـ م . ن ، ص ٧٦ .

دراسات سياسية

الدور الامريكي في حرب حزيران عام ١٩٦٧

الرفيق د . غازي حسين

توصل الرئيس جونسون وقادة اسرائيل عام ١٩٦٥ الى قرار مشترك يقضي **بالتخلص** من الرئيس جمال عبد الناصر واطلاق حرية العمل لاسرائيل والابقاء على الطريقة والاسلوب **والتوقيت سرا** في دوائر صنع القرار في البلدين .

وكان السر محصورا في مجموعة ضيقة من الافراد **لا** يزيدون عن خمسة في واشنطن « وكان معروفا ايضا على مستوى صنع القرار الامريكي . ان الاسلوب الذي انتهى اليه جونسون هو اطلاق حرية العمل لاسرائيل» (١) والخمسة هم: **الرئيس الامريكي جونسون ومستشاره لشؤون الامن القومي ، والت روستو ومدير المخابرات المركزية ريتشارد هيلمز ، ومسؤول مجلس الامن القومي لانشطة المخابرات والبترول والسلاح روبرت كومر ، ووكيل ادارة المخابرات المركزية لشؤون العمليات جيمس انجلتون .** وكانوا على علاقة مباشرة مع ضابطين اسرائيليين اقاما في واشنطن هما: الجنرال **مائير عميت** ، مدير الموساد **وافراييم ايفرون .**

وكان الاشخاص الذين يعرفون بالعملية من الجانب الاسرائيلي هم : رئيس الوزراء **ليفي اشكول ، وغولدا مائير وشمعون بيرس واسحق رابين وعايزر وايزمان ويجال الون .**

وكان التصور الاميركي العام الذي وضعه **ريتشارد هيلمز**، مدير وكالة المخابرات المركزية يقوم على النحو التالي :

« ان عملية اطلاق حرية العمل لاسرائيل لا بد ان تتم في توقيت لا بد من احكامه ، فهذا التوقيت يلزم ربطه بظرف يحقق اكبر قدر من الاقتناع لدى الراي العام العالمي ولدى القوى الدولية المهتمة بشؤون الشرق الاوسط ، بان اسرائيل لم يكن لها خيار غير الالتجاء الى القوة .. وان يتم اختيار هذا التوقيت في ظرف لا يسمح **للاتحاد السوفييتي بحرية المناورة** . وان تتوافق توجهات الحركة بين الولايات المتحدة واسرائيل دون توثيق او تسجيل على الورق ، وانما بالاتفاق الكامل فيما يتعلق بحدود العملية ، وقد كان هناك احساس لدى بعض المشاركين في العملية ان اسرائيل قد تنتهز فرصة تنفيذ العملية لكي تجد عذرا للاستدارة على الضفة الغربية من الاردن »(٢).

وكانت اسرائيل تعتبر ان اسقاط الرئيس عبد الناصر حصة امريكا من الحرب ، بينما حصتها يجب ان تكون احتلال الضفة الغربية بما فيها مدينة القدس العربية ، واطلق الرئيس جونسون عبارة اصطياد الديك الرومي على عملية اطلاق حرية العمل لاسرائيل.

واتفقت الولايات المتحدة واسرائيل ان الطريق الوحيد لاسقاط جمال عبد الناصر هو قيام اسرائيل بحرب على مصر . ويؤكد **انتوني بيرسون** في كتابه ((**مؤامرة الصمت**)) هذه الحقيقة ويقول انه في عام ١٩٦٥ عقد **جيمس انجلتون** ، مدير ادارة العمليات في وكالة المخابرات الاميركية ، عددا من اللقاءات السرية مع مسؤولين من الموساد وبحثوا كيف ومتى يمكن التخلص من جمال عبد الناصر . واتفقوا انه من الصعب اسقاطه من داخل مصر ، وانما من خلال مواجهة عسكرية بينه وبين اسرائيل تجلب له الهزيمة ، فاذا تراجع او هزم كانت نهايته . وتوالت الاجتماعات في تل ابيب وواشنطن واشترك فيها بعض الجنرالات والسياسيين الاسرائيليين ، وبعض المسؤولين من ادارة الرئيس جونسون . وقرروا في اجتماعاتهم اثارة حرب بين مصر واسرائيل . واتفقوا على تهيئة الراي العام لقبول حرب اسرائيل ضد العرب باستغلال سياسات عبد الناصر المتشددة ، وتأييد السوفييت المتزايد له . **والوضع في سورية** ، لكي يقرر الكنيست شن الحرب ضد العرب .

واعتقدت «اسرائيل» ان التخلص من جمال عبد الناصر يحقق لها التخلص من اهم واكبر اعدائها في المنطقة ، وبالتالي يفتح المنطقة

على مصراعيها امام الهيمنتين **الاميركية والصهيونية** على كامل الوطن العربي ، وان تأييد الرئيس الاميركي يوفر لها حماية نتائج حربها العدوانية داخل الامم المتحدة وخارجها ويجلب لها المزيد من المساعدات الاقتصادية والمزيد من المهاجرين اليهود ، ويعزز مكانتها امام الولايات المتحدة واوروبا ويهود العالم ، ويفسح المجال امامها لاحتلال الضفة الغربية ومدينة القدس العربية .

وكانت الولايات المتحدة تعرف حق المعرفة ان هدف اسرائيل الاساسي بالاضافة الى اسقاط عبد الناصر هو احتلال الضفة الغربية حيث جاء في البرقية التي وجهها الرئيس الاميركي ليندون جونسون الى الملك حسين في اواخر ، تشرين الثاني عام ١٩٦٦ بعد العدوان الاسرائيلي على السموع ما يلي :

« واخيرا فقد ابلغني السفير بيرنز (السفير الاميركي **في عمان**) قلق جلالتكم لان سياسات اسرائيل قد تغيرت ، ولان اسرائيل تعتزم الآن احتلال اراض الضفة الغربية لنهر الاردن . ولئن كان بوسعي ان افهم اسباب هذا القلق فان لدينا من الاسباب الوجيهة ما يدعو الى الاعتقاد بان من غير المحتمل الى حد كبير أن تقع الاحداث التي تخشونها فعلا »(٣) .

وخلاصة القول ان الولايات المتحدة واسرائيل اتفقتا على اسقاط الرئيس جمال عبد الناصر ولكن اسرائيل كانت ترى ان الفرصة ملائمة لها لاحتلال الضفة الغربية وتحقيق المزاعم والاساطير والخرافات والاطماع اليهودية والصهيونية في فلسطين العربية ، وبشكل خاص في **مدينة القدس** ، المدينة العربية ، التي بناها العرب اليبوسيون ، واولى القبلتين وثالث الحرمين .

وكان وزير الخارجية الاميركي ، **دين راسك** ، على استعداد لتفهم موقف اسرائيل بتوجيه ضربة للعرب ولكنه لم يكن متحمسا كالرئيس جونسون ومستشاريه اليهود . وطالب راسك بمعالجة الامور بحذر شديد لانه يعتقد انه اذا كانت اسرائيل المعتدية بشكل سافر في حرب **عربية ـ اسرائيلية** فان ذلك سيؤثر على المصالح الاميركية الحيوية في المنطقة ، وسيزيد من تأييد الاتحاد السوفييتي للعرب مما سيؤثر على مجمل العلاقات الاميركية السوفيتية .

وكان وزير الدفاع الاميركي **روبرت ماكنمارا** ، الغارق حتى اذنيه في حرب اميركا في فيتنام على علم بالتنسيق والتعاون بين

الولايات المتحدة واسرائيل ، لان وزارته هي التي كانت تقوم بتزويد اسرائيل بالسلاح والعتاد الامريكي .

واعتقدت اوساط عديدة من شركات النفط والسلاح والبنوك الامريكية ان حربا عربية اسرائيلية سوف تغري اسرائيل باحتلال الضفة الغربية ، وان الشرط الذي يجب توافره هو ان **لا تظهر اسرائيل على الاطلاق بمظهر المعتدي** ، وانما يكون موقفها هو موقف **الدفاع عن النفس** مع الضغط عليها بكل الوسائل لصدها عن الاقتراب من الضفة الغربية للاردن .

اما بالنسبة للمخابرات المركزية فانها كانت من اكثر الجهات والمؤسسات الامريكية استعدادا لتنفيذ تعليمات الرئيس جونسون وقراره السياسي باطلاق العنان لاسرائيل .

ولقد اكد الامين العام للامم المتحدة **يوثانت** كراهية الرئيس جونسون للرئيس عبد الناصر في حديث جرى بينه وبين المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى الامم المتحدة عندما اخبره عن الحديث الذي جرى بينه وبين وزير الخارجية الامريكي دين راسك الذي قال له : « **ان احدا منا لم يعد يستطيع ان يفتح امام جونسون اي موضوع يتصل بمصر ، فالرئيس جونسون لم يعد يطيق ان يذكر امامه اسم ناصر** »(٤) .

وفي ٢٣ ايار ١٩٦٧ بعث الرئيس جونسون برسالة الى جمال عبد الناصر وجاء فيها : « ونحن ننتهز هذه الفرصة لنعيد تأكيدنا بالتزامنا المستمر لمبدأ حرية المرور في خليج العقبة لسفن جميع الدول فان حق المرور الحر والبريء الى هذه المياه يعد جزءا من المصلحة الحيوية للمجتمع الدولي ونحن موقنون بان التدخل في هذه الحقوق الدولية **قد تكون له عواقب دولية خطيرة** »(٥) .

واكد جونسون في رسالته ان حكومة الولايات المتحدة تعارض معارضة صارمة اي عدوان في المنطقة سواء كان مكشوفا او في الخفاء .

يقول **محمود رياض** في مذكراته عن رسالة جونسون مايلي :

« وبعد ان قرا عبد الناصر الرسالة ، سكت قليلا ثم سالني عن تقييمي لها . وقلت له انني اشعر الآن بالاطمئنان من عدم قيام حرب جديدة فها هو رئيس الولايات المتحدة يدعو كافة الاطراف

الى احترام اتفاقيات الهدنة ، وهو مطلب مصري ابلغنا به مجلس الامن ثم ان جونسون يؤكد في رسالته ان مصر تستطيع ان تعتمد على الحكومة الامريكية ومعارضتها التامة والصارمة لاي عدوان في المنطقه ، اما بالنسبه للموضوع الملاحة في خليج العقبة ، فهو موضوع يمكن ان نصل الى حل بشانه ، اما عن طريق اللجؤ الى محكمة العدل الدولية كما اقترح السيناتور الامريكي **فولبرايت**، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي ، أو عن طريق عودة **قوات الطوارىء** الى شرم الشيخ عندما يزول التهديد الاسرائيلي »(٦) .

ومرة اخرى سالني عبد الناصر ، ولكن هل تعتقد ان هذه الرسالة تمثل موقفا حقيقيا من جونسون . قلت له : بالتاكيد لاتخيل ان يخدعنا رئيس الولايات المتحدة في خطاب رسمي يوقعه بامضائه ويقترح فيه ابفاد نائبه **هيبرت هفري** الى المنطقة .

ولكن عبد الناصر اعترض على راي وزير خارجيته لانه شعر بعدم الاطمئنان وشك في صدق رسالة جونسون لانحيازه الكامل لاسرائيل ومعاداته للعرب .

وكتب محمود رياض في مذكراته يقول انه تبين خطا تقديري وصحة شكوك عبد الناصر بعد ايام قليلة من الرسالة .

« وكان موقفنا في ذلك الوقت يتلخص في وقف التهديدات الاسرائيلية ضد سورية والحيلولة دون استمرار الاعتداءات التي وصلت الى اقصاها خلال السنتين الاخيرتين »(٧) .

ووزع المستشار الصحفي للرئيس الامريكي جونسون **ماكلوسكي** بيانا في البيت الابيض جاء فيه : « **اولا** اننا نأسف لان اتفاقات الهدنة العامة فشلت في منع الاعمال شبه الحربية التي تجرى في اراضي حكومة ما ضد حكومة اخرى ، او ضد المدنيين او الاراضي التي تحت سيطرة حكومة اخرى .

ثانيا : اننا ليفزعنا الانسحاب العاجل لقوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة من قطاع غزة وسيناء .

ثالثا : اننا نأسف لما حدث اخيرا من حشد للقوات العسكرية، ونعتقد ان خفض هذه الحشود مسالة لها اهميتها العاجلة .. ان ما قيل عن **اغلاق خليج العقبة في وجه السفن الاسرائيلية قد اضاف بعدا جديدا وخطيرا للازمة** . ان الولايات المتحدة تعد هذا الخليج ممرا مائيا دوليا ، وتشعر بأن فرض حصار على سفن اسرائيل امر

غير مشروع ويكمن فيه احتمال لكارثة تحل بقضية السلام . ان حق المرور البريء في هذا الممر المائي الدولي امر له اهميته الحيوية للمجتمع الدولي »(٨) .

وبعث الامين العام للامم المتحدة بعد عودته من القاهرة بتقرير الى مجلس الامن الدولي دافع فيه عن قراره بالموافقة على انسحاب قوات الطوارىء وهاجم منتقديه وكذلك موقف اسرائيل من تلك القوات ، لانها رفضت وضع قوات دولية داخل حدودها . وابرز في التقرير موقف مصر بعدم المبادرة بالقيام بعمل هجومي ضد اسرائيل والتمسك بالعودة الى ما كان عليه الموقف قبل حرب السويس العدوانية عام ١٩٥٦ .

بدات الولايات المتحدة بترحيل الرعايا الاميركيين من مصر بهدوء وذلك في ٢٥ ايار ١٩٦٧ مما يدل على ان الادارة الاميركية تعرف بانه ستحدث بعض الامور في مصر ، كما دعا الرئيس الاميركي جونسون الى **انشاء قوة بحرية** تشترك فيها الاساطيل الحربية لعدد من الدول البحرية في العالم وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا على اساس ان قيام مصر بتقييد الملاحة الاسرائيلية في الخليج يعتبر تعرضا لمبدا حرية المرور في البحار الدولية ، الى جانب ان الولايات المتحدة تعتبر نفسها قدمت تعهدات صريحة (**سرية**) لاسرائيل عام ١٩٥٧ .

وفي ٢٦ ايار استقبل جونسون ابا ايبان لبحث احتمالات الموقف في المنطقة . وبعد الاجتماع قال جونسون لمساعديه : « **ان اسرائيل سوف تضربهم** » . ولذلك لم يكن جونسون مهتما بالنتائج التي حصل عليها الامين العام للامم المتحدة خلال زيارته للقاهرة لتهدئة الموقف والحيلولة دون اندلاع الحرب .

وفي ٢٧ ايار بدات مسرحية **التضليل والتدجيل والغش والخداع الاميركية والاسرائيلية** وكان ابا ايبان في واشنطن ، واخبر نائب وزير الخارجية الاميركي يوجين روستو السفير المصري في واشنطن **الدكتور مصطفى كامل** ان ابا ايبان عرض على وزير الخارجية الاميركية برقية عاجلة وردت اليه من حكومته تفيد بان هجوما مفاجئا بواسطة القوات المصرية والسورية اصبح واقعا ، وانه يمكن ان يقع بين ساعة واخرى .

وحوالي الساعة الثالثة من صباح نفس الليلة وصل السفير

السوفييتي الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر وطلب مقابلة الرئيس فورا وايقاظه لان لديه رسالة عاجلة من رئيس الوزراء السوفييتي وتنص رسالة **كوسيجين** ان الرئيس جونسون اتصل به على الخط الساخن بين البيت الابيض والكرملين قبل ساعة وابلغه ان القوات المصرية ترتب لهجوم على المواقع الاسرائيلية . وان موعد هذا الهجوم وشيك . وانه اذا حدث ذلك فان الولايات المتحدة سوف تعتبر نفسها في حل من تعهداتها التي اعطتها للاتحاد السوفييتي بممارسة ضبط النفس .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر للسفير السوفييتي « انه لابد يعرف ان مصر لا تريد الحرب ولا تسعى اليها ، لكنها ستدافع عن نفسها اذا هي هوجمت . وهو واثق ان كل الاطراف الاخرى بما فيها الولايات المتحدة واسرائيل يعرفون حقيقة انه يريد ان يتجنب الحرب ، كما ان بقية الاطراف في العالم تعرف ان الاخرين هم الذين يريدون الحرب ويسعون لها وليس مصر ، وان الاتحاد السوفييتي عليه ان **يحاذر حتى لا يجد نفسه منساقا وراء العاب الاخرين** بتاثير الحاحهم واصواتهم العالية »(٩) .

وكان السفير السوفييتي بنفس الوقت في تل ابيب يوقظ ليفي اشكول ويسلمه رسالة كوسيجين يطلب فيها تجنب القيام باي تصرفات غير محسوبة وان عليها ايجاد حلول غير اللجوء الى الوسائل العسكرية ، ولكن اشكول رد عليه قائلا : « ان اسرائيل لم تعلن تعبئة قواتها الا بسبب تصرفات قامت بها مصر وسورية ، فاذا كانت لدى كوسيجين نصائح بالتعقل فعليه ان يوجهها الى **القاهرة ودمشق** وليس الى اسرائيل »(١٠) .

وفي ٢٧ ايار اذاع راديو اسرائيل ان ابا ايبان صرح في مطار اورلي بباريس ان حكومة الولايات المتحدة الاميركية قد اكدت له تاييدها لاجراءات اسرائيل لفتح خليج العقبة .

ويمكن اجمال الموقف الاميركي المعلن انطلاقا من التصريحات والمذكرات الرسمية في النقاط التالية :

معارضة واشنطن معارضة قاطعة ان يبدا اي طرف من **الاطراف بالعدوان المسلح .**

— الطلب من مصر الا تبدا بالهجوم .

— اكدت وتعهدت بان اسرائيل لن تبدا بالهجوم .

ـ ستبذل كل ما في وسعها للوصول الى حل سلمي يضع قضايا شعوب المنطقة موضع الاعتبار .

ـ وجوب فتح مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية .

ـ العمل على ابعاد اي تدخل سوفييتي في الاحداث .

وبتاريخ ٢١ ايار استقبل جمال عبد الناصر السيد روبرت اندرسون ، والذي بعث بتقريره الى الرئيس جونسون عن المقابلة . وجاء في التقرير ما يلي :

« بعد تبادل بعض العبارات الودية قال ناصر انه يتوقع هجوما اسرائيليا وشيكا بسبب ما يقراه من تهديدات القادة الاسرائيليين السياسيين والعسكريين ، وكذلك ما تنقله مخابراته عن التعبئة العامة في اسرائيل . وكمثال على ذلك فقد قال ناصر انه كانت هناك قوة من **١٣ لواء مصفاة في مواجهة سورية** . وقد اوضح ناصر انه حرك قواته في سيناء لانه لا يريد ان يتكرر ما حدث سنة ١٩٥٦ عندما رفض تصديق ان هجوما قد بدأ . . وقد سألته مباشرة وعلى وجه التحديد عما اذا كان يعتزم الدخول في عمليات عسكرية ، فقال « انه يطلب مني ان اوضح لحكومتي ان بلاده لن تكون البادئة بأي قتال وانه ينتظر ما سوف تفعله اسرائيل . . . وانه يعتقد انه اصبح هدف اسرائيل الاول ، وان الضربة الرئيسية للهجوم الاسرائيلي ستكون موجهة **ضد مصر** . . . وقد قال انه مستعد لتقدير الجهود الاميركية في سبيل السلام الا ان هذه الجهود متحيزة دائما لوجهة النظر الاسرائيلية »(١١) .

وفي ١ حزيران قابل **محمود رياض** مبعوث الرئيس جونسون **تشارلز يوست** ، والذي اكد من جانبه بان الولايات المتحدة سوف تكون ضد اي طرف يبدأ بالعدوان المسلح . واكد له محمود رياض ان مصر لن تبدأ هجوما مسلحا ضد اسرائيل .

وفي نفس اليوم قابل عبد الناصر **روبرت اندرسون** ، ليسلمه رسالة شفوية من جونسون ، وكرر عبد الناصر له موقف مصر ،وان مصر وافقت على مقترحات الامين العام للامم المتحدة ، وتؤكد من جديد انها لن تبدأ الحرب .

وفي ٢ حزيران اجاب عبد الناصر على رسالة جونسون مشيرا الى ان اسرائيل ترفض العمل باتفاقيات الهدنة ، ومؤكدا ان مصر لن تكون البادئة بالعدوان ورحب بزيارة هيفري نائب الرئيس الاميركي

الى القاهرة وابدى استعداده لارسال **زكريا محيي الدين** ، نائبه في الحال الى واشنطن .

وعندما كان الرئيس جونسون يسال ريتشارد هيلمز رئيس وكالة المخابرات المركزية عن نتيجة معركة محتملة بين اسرائيل ومصر كان يجيبه بان اسرائيل سوف تكون قادرة عن طريق ضربة جوية سريعة وكثيفة يتبعها اختراق مدرع في سيناء باتجاه قناة السويس تحقيق انتصار كاسح .

تلقى جونسون في ٢ حزيران ١٩٦٧ معلومات تفيد وجود غازات سامة لدى مصر وانه من الجائز ان تستعملها خلال الحرب مع اسرائيل ، فتدخل مباشرة لدى حكومة المانيا الاتحادية وطلب منها اعطاء اسرائيل ٢٠ الف قناع واق من الغازات السامة وشحنتها الطائرات الاميركية على الفور الى اسرائيل .

وبتاريخ ٣ حزيران وقع الرئيس جونسون امرا بأن تقوم القوات الجوية الاميركية المتمركزة في قاعدة **رامشتاين الالمانية** باستطلاع الجبهة المصرية بالتنسيق مع الاسرائيليين . والغريب ان هذه الطائرات قامت بمهمتها من قاعدة **بئر السبع** وهي تحمل علامات اسرائيلية(١٢) .

طلب الرئيس جونسون من مستشار الامن القومي والت روستو اعداد تقييم لامكانيات الضربة الاسرائيلية ، وكتب روستو له مذكرة بتاريخ ٣ حزيران ١٩٦٧ تتضمن الاهداف الرئيسية التي يمكن ان تحققها الضربة :

١ ـ احراج الاتحاد السوفييتي اذا ما قامت اسرائيل بدون عون اميركي ظاهر بتوجيه ضربة شديدة الى مصر .

٢ ـ تدمير جزء كبير من الاسلحة السوفييتية التي تلقتها مصر من الاتحاد السوفييتي عبر سنوات طويلة .

٣ ـ اختبار انظمة **السلاح الغربية** ضد انظمة **السلاح السوفيتية** من خلال معركة فعلية في الشرق الاوسط .

٤ ـ اسقاط **هيبة ناصر** وربما اسقاط نظامه .

٥ ـ تمكين الاسرائيليين من الاستيلاء على ارض يستطيعون ان يضغطوا بها في مقابل تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي (١٣) .

وعندما بدات اسرائيل في الخامس من حزيران بالحرب

يقف بحزم ضد الطرف الذي يبدأ بالحرب ، وهاهي اسرائيل قد بدات الحرب واعتدت علينا ثم هاهو راسك يعلن بانه لا يعرف بالتاكيد من الذي بدا الحرب ، وهي بداية تنذر باسوأ النتائج للموقف الامريكي في الايام القادمة » .

رتبت وزارة الخارجية الامريكية لقاءا بين الرئيس جونسون والسفراء العرب الذين لم تقطع حكوماتهم علاقاتها الدبلوماسية بالولايات المتحدة ، وقرر جونسون ان يلتقي معهم في قاعة الاستقبال بمبنى وزارة الخارجية ، ولكنهم دهشوا عندما دخل جونسون وهو يمسك **بوثاق من الجلد يقود به كلبه** ، ثم جلس ووجه حديثه الى كلبه ، واسمه بيجل وهو هدية من صديقته الاسرائيلية **ماتيلدا كريم** قائلا له :

« اسمع يا بيجل ، حكاية رجل شرير تخانق مع جاره الطيب متصورا ان هذا الجار الطيب لا يستطيع الرد عليه ، ولكن الجار الطيب يا بيجل استجمع كل قواه ولكم جاره الشرير لكمة قوية طرحته على الارض . له حق يابيجل اليس كذلك، لماذا يحق لاصحاب هذا الرجل الشرير ان يشتكوا للآخرين،ما هو رايك يا بيجل»(١٨).

ويقول السفير المصري لدى الامم المتحدة ، **محمد القوني** عن هذه الواقعة ما يلي :

«كاد يغمى على بعض السفراء العرب المدعوين .بل وكاد يغمى على بعض السفراء الاميركيين الحاضرين . ثم قام الرئيس جونسون وبيجل لايزال يسابقه » (١٩) .

كانت تقديرات عبد الناصر « ان اسرائيل لا تجرؤ على المخاطرة بشن حرب ضد مصر بدون تواطؤ مع دولة كبرى » ، وكان يعلم ان امريكا في عهد جونسون تؤيد اسرائيل تاييدا مطلقا ، وكان يعتقد ان امريكا لا يمكن ان تتورط عسكريا في حرب عدوانية مع اسرائيل كما فعلت فرنسا وبريطانيا في حرب السويس عام ١٩٥٦ ..

لم يكن الرئيس عبد الناصر يريد الحرب مع اسرائيل ، وانما اراد ان يضغط عليها ليخفف الضغط عن سورية ويحول دون مهاجمتها ، وكانت الحشود التي نظمها **مظاهرة عسكرية** ، لان نصف الجيش المصري كان يحارب في اليمن ، ولم يعتقد بان اسرائيل ستقوم بالحرب اذا اغلق خليج العقبة في وجهها ، وان اوضاع مصر السياسية والاقتصادية والعسكرية لم تكن تسمح لها الدخول في حرب مع اسرائيل .

وقام الرئيس ناصر بالتصعيد للرد على اتهام بعض الاطراف العربية له **وخاصة السعودية** بانه يحتمي وراء القوات الدولية في سيناء وشرم الشيخ وانه لا يريد ولا يستطيع الدخول في مواجهة مع اسرائيل ، مما يؤثر على هيبته وزعامته . واراد استرداد السيادة المصرية على مضائق تيران التي فقدتها مصر من جراء حرب السويس . لذلك قرر اعلان **حالة التاهب** وحشد القوات في سيناء وسحب القوات الدولية واغلاق مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية .

واعتقد ان الازمة لن تتطور الى حرب من جانب اسرائيل وان مصر لا تريد الحرب ، وان اغلاق الخليج لن يكون سببا لقيام اسرائيل بالحرب ، وانها لن تقوم بالحرب دون الاعتماد على الولايات المتحدة .

ولكن الرئيس ليندون جونسون قام في حرب عام ١٩٦٧ بنفس الدور الذي قام به **انطوني ايدن** ، رئيس وزراء بريطانيا في حرب السويس عام ١٩٥٦ لصالح اسرائيل .

استغل يهود العالم تصرفات الرئيس عبد الناصر وروجوا في جميع انحاء العالم بانه يريد خنق اسرائيل والقضاء عليها باغلاق الخليج ، وان الفرصة سانحة لاسرائيل للحيلولة دون تدميرها والقضاء على القوة العربية ، بالقيام في حرب وقائية وتدمير الجيوش والمعدات العربية .

ووقع الرئيس **عبد الناصر في الفخ** الذي نصبته له الولايات المتحدة واسرائيل لاسقاطه،وتدمير القوات العربية المسلحة وفرض الهيمنتين الامريكية والاسرائيلية على المنطقة العربية وتصفية قضية فلسطين عن طريق تسوية بالشروط والاملاءات الاسرائيلية وتسويق الولايات المتحدة لها .

لقد اتصلت الولايات المتحدةفي بادىء الامرمع الاتحادالسوفييتي وطلبت منه بذل جهود مشتركة من أجل حل سلمي للازمة واخبرته انه لا ضرورة لتحويل حرب بين العرب واسرائيل الىحرب واسعة. وطلبت من القاهرة عدم البدء بالهجوم ، واخبرت دمشق انه لاصحة لوجود عدوان اسرائيلي عليها .

وكانت متاكدة من ان اسرائيل ستحقق النصر في حربها ضد العرب ، فلو تفوق العرب على اسرائيل ، فانها ستتدخل وتحول دون الانتصار العربي بحجة ضمان السلامة الاقليمية لدول المنطقة.

وعندما تنتصر اسرائيل في الميدان العسكري ، فلن يصيبها ضرر سواء داخل الامم المتحدة او خارجها لانها ستكلل النصر العسكري لها ولاسرائيل بنصر سياسي .

وقامت الادارة الامريكية بتعطيل اي جهد فعال يمكن ان يقوم به مجلس الامن ، فعارضت ادانة اسرائيل في المجلس بالتهديد باستخدام الفيتو ، كما عارضت سحب قواتها الى المواقع التي كانت فيها قبل البدء في الحرب العدوانية ، وماطلت بوقف اطلاق النار الى ان تأكدت ان اسرائيل قد حققت اهدافها في **مصر والاردن** وسورية .

ودافعت عن اسرائيل المعتدية وعن نتائج الحرب العدوانية لتحقيق الاهداف الامريكية والصهيونية دون الاكتراث بميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي والشرعية الدولية .

ان حرب حزيران العدوانية المفاجئة والنتائج التي افرزتها وتمسك اسرائيل باحتلالها للاراضي العربية حتى اليوم تظهر بجلاء انها ثمرة من ثمرات التخطيط والتنسيق والتعاون السياسي والعسكري بين **الحكومتين الامريكية والاسرائيلية فالعدوان** الاسرائيلي كان واضحا ، الا ان الادارة الامريكية حالت دون اتخاذ مجلس الامن اي قرار يدين اسرائيل المعتدية ، لانها استخدمت كافة الوسائل والاساليب بدءا من التضليل ومرورا بالمناورات والتهديدات والضغوط وحتى الاغراءات .

وكان ولا يزال تأييد الادارات الامريكية للغزو الاسرائيلي المدبر على اراضي الدول العربية بادرة خطيرة وتعتبر عودة الى الوراء في العلاقات الدولية والتعامل الدولي .

وقامت السياسات الاسرائيلية والامريكية على استغلال نتائج حرب حزيران العدوانية دالاحتفاظ بالاراضي المحتلة **لفرص الصلح والاعتراف باسرائيل** على الدول العربية ، ووقفت الولايات المتحدة موقفا واضحا في تأييد اسرائيل المعتدية داخل الامم المتحدة وخارجها ودابت السياسة الاميركية حتى عام ١٩٩٣ على تبرير ودعم كل عدوان تقوم به اسرائيل على الدول العربية ، مما يظهر بجلاء انحيازها الكامل لاسرائيل .

←

المصـــــادر

١ ــ محمد حسنين هيكل ، الانفجار ، الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٢٧١ .

٢ ــ المصدر السابق ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣ .

٣ ــ ملحق الوثائق في الانفجار ص ٩٩٦ .

٤ ــ محمد حسنين هيكل ، الانفجار ص ٤٢١ .

٥ ــ مذكرات محمود رياض ، البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٥ ، الطبعة الاولى ص ٤١ .

٦ المصدر السابق ص ٤٢ .

٧ ــ المصدر السابق .

٨ ــ محمد حسنين هيكل ، الانفجار ص ٥٤٤ ــ ٥٤٥ .

٩ ــ المصدر السابق ص ٥٧٨ .

١٠ ــ المصدر السابق ص ٥٧٩ .

١١ ــ البرقية رقم ١٢٢٩٦ موجهه الى البيت الابيض عن طريق السفارة الامريكية في لشبونة ، مكتبة لندون جونسون نقلا عن الانفجار ص ٦٨٠ ، ٦٨٤ .

١٢ ــ انظر : وثائق مجلس الامن القومي ، الجزء الرابع ، الملحق رقم ١ ــ مكتبة لندوف جونسون نقلا عن الانفجار ص ٦٧٥ .

١٣ ــ مذكرات والت رستو رقم س ١١٥٤١٤ الى الرئيس جونسون في ٣ / ٦ / ١٩٦٧ ، مكتبة لندون جونسون المجلد الثالث .

١٤ ــ سجل يوميات البيت الابيض ، وردت في كتاب « دونالدنيف » ازمة عام ١٩٦٧ ، ص ٢١٢ .

١٥ ــ المصدر السابق ص ٢١٢ .

١٦ ــ محمد حسنين هيكل ، الانفجار ، ص ٧٢٣

١٧ ــ مذكرات محمود رياض ، ص ٥٦ .

١٨ ــ محمد حسنين هيكل ، الانفجار ، ص ٨٦٨ .

١٩ ــ المصدر السابق ، ص ٨٦٩ .

اسبانيا : من فرنكو إلى غونزاليس

الرفيق : فوزي الجورة

ان ما جرى ويجري في العالم ، مـا زال يعكس آثـاره ولا سيما السلبية على كثير من بلدان العالم ، ولم ينج بلد مـن هـذه المجريات ، إلا وتأثر بنسب متفاوتة .

فاسبانيا دولة في المجموعة الاوروبية التي تنشد الوحدة الاوروبية انطلاقا من القواسم المشتركة التي تجمعها مع دول اوروبا.

ففي اسبانيا احزاب سياسية تتنازع على السلطة من خلال اللعبة البرلمانية الديمقراطية ، والحزب الذي يفوز بالمقاعد الاكثر في البرلمان البالغ عدده – ٣٥٠ – مقعدا هو الحزب الاكثر سيطرة على البرلمان والحكومة ..

وفي اسبانيا ازمة اقتصادية تنخر جذور المجتمع الاسباني، عدا عن البطالة ، وغلاء الاسعار ، ورخص قيمة العملة المحلية / البيزيتا / قياسا بالعملات الاوروبية / المارك الالماني والفرنك الفرنسي / وبالدولار الامريكي ..

ما هي حقيقة ما يجري في اسبانيا ؟
وما هي نتائج الانتخابات البرلمانية التي جرت مؤخرا ؟
وما هي مدلولاتها ؟
وما هي الآفاق المستقبلية ؟

مجموعة من الاسئلة ، نحاول الاجابة عليها من خلال هذه الدراسة . . .

عاشت اسبانيا في اوائل شهر حزيران ١٩٩٣ واحدة من اعنف المعارك الانتخابية البرلمانية التي شهدتها منذ رحيل الديكتاتور / فرانكو / قبل / ١٨ / عاماً والذي كان موته نهاية لحكم مطلق جثم على صدر اسبانيا مايقرب من / ٤٠ / عاما عانت خلالها القوى السياسية النفي والسجون والتعذيب اضافة الى عدة اعدامات تمت قبل رحيله باشهر قليلة ، وشملت المناضلين من مناطق القوميات التاريخية المعروفة في **فطالونيا وبلاد الباسك** ، وعلى الرغم من اجماع المراقبين السياسيين على ان التحول الديمقراطي الذي بدأ بتولي الملك / خوان كارلوس الاول / قد تم في هـدوء شديد دون صدام بين القوى المتصارعة التي كانت فرصة لها عند رحيل الجنرال ، وان ما تعيشه اسبانيا حاليا يصفه البعض بأنه **حالة الصراع التي كان يجب ان تجري في البداية** ، لكن الخوف من اجهاض التجربة دفع بجميع القوى الى الانتظار حتى يشتد صلب الديمقراطية وفي هذا الوصف كثير من الحقيقة ، ولمعرفة الواقع الحالي لا بد من العودة الى الماضي .

من التاريخ :

بعد وفاة فرانكو ، وعودة الملكية في شخص الملك **/ خوان كارلوس الاول /** عام ١٩٧٥ تيقن الملك ان رئيس الوزراء في ذلك الوقت **/ كارلوس ارياس نافارو / غير قادر على الانفصال عن تاريخه القديم** ويرغب في السير على الطريق الذي جمعه بفرانكو فقام بعملية تغيير محسوبة بعد التشاور مع جميع القوى السياسية التي كانت في ذلك الوقت لا تزال غير شرعية ، مثل : **الحزب الاشتراكي ، والاحزاب الشيوعية** المختلفة ، فكلف صديقه الشخصي السياسي الشاب / **ادولفو سواريث** / بتشكيل حكومة مؤقتة تخطو نحو ارساء قواعد الديمقراطية الحقيقية ولمدة محدودة بدات مع بدايات عام ١٩٧٦ ، وعلى الرغم من التخوف الذي ابداه البعض من شخصية / **سواريث** / الذي كان لامعا في شبابه الاول في «الحركة» الكتائبية التي كانت تعتبر تنظيم الجنرال فرانكو الوحيد ، ووصل فيها الى منصب السكرتير العام الا ان التوجه الديمقراطي لرئيس الوزراء المؤقت تغلب على المخاوف فاختار وزارة شكلها من الاصدقاء والمقربين تحت شعار ((**حكومة الثقة**)) وخلال اقل من عامين قامت هذه الحكومة بخطوات غاية في **الشجاعة** والمخاطرة **فقد تم الاعتراف**

بشرعية الاحزاب يمينا ويسارا بما فيها الحزب الشيوعي الاسباني الذي كان اقوى واخطر القوى المناوئة لنظام الجنرال واعلن عفوا عاما عن كل المعتقلين الذين كانوا في السجون لاسباب سياسية وفتح ابواب البلاد امام الهاربين الذين عاشوا في المنفى منذ سقوط الجمهورية عام ١٩٣٩ الى ان قرر ان يخطو الخطوة النهائية نحو ديمقراطية حقيقية بالدعوة الى انتخابات عامة في ربيع عام ١٩٧٧ .

كل هذا تم ورئيس الوزراء / ادولفو سواريث / **يعمل بلاحزب سياسي** يدعم كل خطواته هذه ، بل كانت كل قراراته تقريبابمبادرة فردية بالاتفاق مع الملك / خوان كارلوس / **وبدعم من القوى السياسية من خارج السلطة ، او تلك السرية وغير الشرعية ،** وعندما تقدمت الاحزاب بمرشحيها قرر / سواريث / **ان يرشح نفسه مستقلا** اعتماداً على الجماهيرية الكبيرة التي استطاع ان يستحوذ عليها بجدارة بفضل كل خطواته الديمقراطية الشجاعة . لكن المجموعات اليمينية التي كانت متناثرة دون ايديولوجيا واضحة قررت ان تستغل علاقة / **سواريث / بالنظام اليميني القديم والشعبية الكبيرة التي حظي بها في الاشهر الاولى من الوزارة** في ظل الملك / خوان كارلوس / فقام الزعيم اليميني المهندس / **كالفو سوتيلو** / الذي كان يتولى وزارة الاشغال العامة بجمع زعماء فصائل اليمين في الليلة ذاتها التي كان /سواريث / **سيعلن فيها ترشيح نفسه** وحصل منهم على تعهد بالتجمع في حزب واحد يمكنه ان يصل الى السلطة ويحكم زمام الامور في ظل استمرارية النظام القديم ، لكن بعد اجراء عملية تجميل واسعة واطلق اسم / **اتحاد الوسط الديمقراطي** / على التجمع ، وعلل / كالفو / قيام هذا التحالف لفصائل اليمين على انه كان يهدف الى **اضفاء شرعية على شعبية رئيس الوزراء / ادلفو سواريث /** ، لكن بعد أخذ وجذب بين مجموعة / سواريث / وباقي الفصائل امكن التوصل الى حد ادنى في برنامج انتخابي مقبول استطاع ان يحصل على غالبية بسيطة في انتخابات حزيران ١٩٧٧ مكنته من ان يكون **اكثر الاحزاب عددا في أعضاء البرلمان** حين حصل على / ١٦٨ / مقعدا فيما جاء الحزب الاشتراكي في المركز الثاني حيث حصل على / ١٢١ / مقعدا **بزعامة الزعيم الشاب وقتها** / فيليب غونزاليس / ، وجاء الحزب الشيوعي الى البرلمان الاسباني للمرة الاولى **كقوة ثالثة** بعد ان حصل على / ٢٠ / مقعدا .

تحويل الاتحاد الى حزب ..

وباتفاق جميع القوى في البرلمان أعيد انتخاب / سواريث / رئيسا للوزراء ، الا ان اتحاد الوسط الديمقراطي لم يكن خاليا من المشاكل ، فقد كان هذا التجمع يضم أكثر من / ١٣ / حزبا صغيرا ، اضافة الى عدد من المستقلين الذين كانوا يشكلون ثقلا قويا في الحياة السياسية الاسبانية ومنهم وزير الخارجية الراحل / فرنانديث اوردونيث / الذي تولى وزارة العدل في حكومة / سواريث / وانتهى به المطاف الى تولي وزارة الخارجية في آخر حكومة اشتراكية ، ولم يغادر الوزارة الا قبل وفاته بأيام قليلة (توفي مع بداية عام ١٩٩٣) .

وبعد تولي / سواريث / رئاسة الوزارة في حزيران ١٩٧٧ فكر جديا في انهاء شرذمة الفصائل التي اجتمعت تحت زعامته في **«اتحاد الوسط الديمقراطي» بتحويل هذا الاتحاد الى حزب سياسي موحد فاصدر قرارا منفردا بانهاء الشكل الاتحادي واجراء عملية توحيد شاملة لكل الفصائل ،** ومنح هذه الاحزاب مهلة اسبوع واحد لاعلان حل تنظيماتها والدخول تحت مظلة الحزب الجديد ، وبالرغم من ان هذا التوحيد تم دون مقاومة تذكر من جميع الاحزاب الصغيرة التي كانت تشكل اتحاد الوسط الديمقراطي الا انه منذ تلك اللحظة بدأ **الصراع ـ على وضع ايديولوجيا الحزب الكبير الجديد** وكان هذا الصراع في البداية بين ايديولوجيتي الحزب الشعبي والوسط الديمقراطي ، وخفف من حدة الصراع موقف المستقلين في الحزب خصوصا ان **سواريث** ظل على استقلاليته ورفض الدخول في الصراع الايديولوجي ، لكن المستقلين فشلوا في النهاية في التوصل الى ايديولوجيا واضحة للحزب الى ان **تم عقد المؤتمر العام الاول لحزب اتحاد الوسط يوم ١٩ تشرين الاول عام ١٩٧٨** وفي هذا المؤتمر بدا ان هذا الحزب ولد ليعيش في صراع وازمات دائمة لان عقد المؤتمر لم يقدم حلولا جذرية للصراع الايديولوجي بين اطرافه .

نهاية محتومة ...

وعند اجراء ثاني انتخابات عامة في آذار ١٩٧٩ ـ كانت انتخابات مبكرة ـ **عاد حزب اتحاد الوسط الديمقراطي الى البرلمان بغالبية** مكنته من الاحتفاظ بمقعد رئاسة الوزارة لـ « سواريث » بعد فوزه بـ / ١٩٨ / مقعدا فيما حصل الحزب الاشتراكي على / ١٢١ /

مقعدا ، وعاد الحزب الشيوعي بعد أن حصل على / ٢٣ / مقعدا ، وبعد هذه الانتخابات صعد نجم بعض الاحزاب الاقليمية التي قررت غزو البرلمان الوطني فحصل الحزب الاقليمي الباسكي على / ٧ / مقاعد ، فيما دخل البرلمان للمرة الاولى حزب / الفطالوني / بـ/٨/ مقاعد ، وفاز الانفصاليون الباسكيون بـ / ٣ / مقاعد ، وعاد حزب اتحاد الوسط الديمقراطي الى الفوز بغالبية كبيرة في الانتخابات المحلية بالاقاليم بعد شهر واحد من فوزه في الانتخابات العامة ، الا ان هذين النصرين **لم يتمكنا من دفن الخلافات داخل حزب رئيس الوزراء ، بل ازدادت حدة ، فبدا اول الانشقاقات التي دفعت جميع الاطراف الى النهاية المحتومة للحزب .**

فوز في الانتخابات ...

وفي تشرين الاول عام **١٩٨٢** جرت انتخابات برلمانية باشراف حكومة حزب اتحاد الوسط الديمقراطي ، وكانت آخر انتخابات يشارك فيها الحزب الحاكم انتهت الى فقدان مقاعده في البرلمان **واسفرت عن فوز الحزب الاشتراكي بغالبية مطلقة وساحقة /٢٠٢/** مقعدا ، وحزب الحكومة / ١٢ / مقعداً فقط والتحالف الشعبي / ١٠٦ / مقاعد ، والشيوعي / ٤ / مقاعد .

وعاد غونزاليس الى الحكم للمرة الثانية بغالبية مطلقة ايضا في **انتخابات ١٩٨٦** ، ثم جدد للمرة الثالثة في **انتخابات ١٩٨٩** ، وخلال مدة حكمه الذي ما زال يحكم بمفرده يمثل القوة السياسية الاولى في اسبانيا ، وكانت المدة الماضية حافلة بالاحداث والتطورات العالمية ، وكما اسلفنا بداية ان اسبانيا من البلدان الاوروبية التي تاثرت الى حد بما جرى من تطورات على الساحتين العمالية والاوروبية ، **وما ان جاء هذا العام حتى دفع غونزاليس بموعد الانتخابات الى الامام وسط توقعات واستطلاعات بانه لن يعود الى السلطة مرة ثانية وبالاحرى لولاية رابعة .**

نتائج الانتخابات الجديدة ..

وفي يوم ٦ / ٦ / ١٩٩٣ توجه اكثر من ثلاثين مليون ناخب اسباني (زيادة مليون ناخب عن الانتخابات السابقة) وادلوا باصواتهم لاختيار / ٣٥٠ / نائبا في يوم واحد وفق نظام الاقتراع **النسبي** وكذلك / ٢٠٨ / سناتورا من اصل / ٢٥٤ / وفق نظام **الغالبية .**

واظهرت نتيجة الانتخابات الرسمية في اسبانيا ان الحزب الاشتراكي الحاكم الذي **يتزعمه رئيس الوزراء / غونزاليس /** قد حقق نتيجة التصويت تقدما بسيطا على الحزب الشعبي اليميني متجاوزا في ذلك المشاكل الناتجة عن الاداء الاقتصادي الكئيب في البلاد والاتهامات المتواصلة للحزب بالفساد وعزا المحللون فوز الحزب الاشتراكي للمرة الرابعة الى الحملة الاعلامية النشطة لهذا الحزب ، ولشخصية / غونزاليس / بعد ان كانت قد اشارت مجمل الاستطلاعات الى تساوي النتائج بين الحزبين .

وكانت النتائج على الشكل التالي :

حصل الحزب الاشتراكي على ٣٨ر٦٦ بالمائة من الاصوات حيث حصل على / ١٥٩ / مقعدا في مجلس النواب المؤلف من / ٣٥٠ / مقعدا ، مقابل حصول الحزب الشعبي على ٣٤ر٨١ بالمائة ، اي على / ١٤١ / مقعدا ، وحصل الشيوعيون على / ١٨ / مقعدا ، وحصلت احزاب صغيرة على المقاعد الباقية .

كانت نسبة المشاركة في الانتخابات عالية اذ شارك فيها نحو ٧٧ بالمائة من الناخبين البالغ عددهم اكثر من ثلاثين مليون ـ كما اسلفنا ـ وهي ثالث اعلى نسبة للمشاركة منذ ان عادت اسبانيا ديمقراطية في حزيران ١٩٧٧ ، ولعل ارتفاع هذه النسبة هي التي رجحت حصول الحزب الاشتراكي على اكبر نسبة من الاصوات .

قواسم مشتركة ..

من خلال مراجعة البرامج الانتخابية بين الاحزاب المتنافسة وفي طليعتها الحزبين الاشتراكي والشعبي ؛ وهما اكبر قوتين سياسيتين في اسبانيا نلاحظ عدم وجود اي اختلاف في حقل السياسة الخارجية **خصوصا لجهة علاقة اسبانيا بجيرانها الاوروبيين** من خلال معاهدة / **ماستريخت** / ، او مفاوضات / الغات/ او علاقة اسبانيا مع حلف شمال الاطلسي .

واذا كانت انظار الحزبين لا تتجه الى الخارج لان المشاكل الداخلية هي التي يتركز عليها النقاش ؛ فهذه المشاكل تقع في راس اهتمامات المواطن الاسباني الذي يعاني من الركود الاقتصادي ، والبطالة والوضع الاجتماعي السيء ؛ حيث ان معدل البطالة يصل الى / ٢١ / بالمائة حوالي / ٣ / ملايين عاطل عن العمل ؛ وكانت الحكومة الاسبانية قد اضطرت الى خفض قيمة البزيتا (**العملة**

الاسبانية) ثلاث مرات منذ اقل من عام ، وقد لوثت فضائح الفساد صورة الحزب الاشتراكي بما في ذلك **اتهامات بان مسؤولين استخدموا وسائل غير مشروعة لتحويل** اموال من شركات كبيرة الى الحملات الانتخابية .

ردود الافعال الداخلية على الانتخابات ...

لقد كانت النتائج سيئة الوقع على المحافظين ، اذ يعتبر الحزب الشعبي حزبا معتادا على **توجيه اللوم في كل الاتجاهات** ففي هذه المرة وجه اللوم لزعيمه / ازنار / لكن ذلك سيكون غير مجد لان / ازنار / دفع باللعبة الدائرة الى مرتبة عرفت معها اسبانيا للمرة الاولى منذ اكثر من عقد معارضة حقيقية .

ويشير / ازنار / نفور العديد من الناخبين بسبب **اسلوبه المتعجرف** ولكنه بدا كريما ونبيلا في **اقراره بالهزيمة** بعد اعلان النتائج كاشفا بالتالي عن صفتين مهمتين لديه . ولكن بعد فوات الاوان . ولو حدث في المرة المقبلة انه لم يسع مجددا الى اخفاء الطبع الانساني لديه فسوف يشكل بدون شك خطرا حقيقيا على غونزاليس .

اما غونزاليس فقال عقب اعلان النتائج : ان فوزه في الانتخابات التشريعية كان بمثابة رسالة تأييد من الاسبان لبرنامج التغيير الديمقراطي والتجديد لحزبه الاشتراكي .

واكد غونزاليس ان حزبه حزب العمل الاشتراكي يسعى الى حوار مع القطاعات العمالية والنقابية والاتحادات وبعض الاحزاب السياسية . وانه سيعمل مع الاحزاب الاخرى من اجل الاستقرار .

خلافات مؤجلة ..

يبدو ان الاشتراكيين الاسبان قد نجحوا في تأجيل خلافاتهم الداخلية الى ما بعد الانتخابات حتى لا تنعكس على مستقبلهم السياسي بعكس « رفاقهم » الفرنسيين الذين راحوا يصفون حساباتهم القديمة في خضم الحملة الانتخابية .

في اي حال يبدو ان الحزب الاشتراكي الاسباني يعاني انشقاقا كبيرا في صفوفه بحيث عادت الخلافات تطفو على السطح بعد ايام من اعلان النتائج واتخذ الصراع الحالي شكلا جديدا بعدما توسع ليشمل كل الحكومة الجديدة على ضوء التراجع النسبي لشعبية الحزب .

وفي نهاية المعركة تبين ان غونزاليس تمكن من الصمود في مدريد التي باتت تعتبر آخر قلعة للاشتراكيين في اوروبا مؤكدا ان الازمة الاقتصادية الحادة التي تعصف باسبانيا لم تستطع اقتلاعه من السلطة ، ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى ان ازمات مشابهة كانت السبب الرئيسي والمباشر للاطاحة بالمستشار الالماني هيلموت شميت ، ورئيسة الوزراء مارغريت تاتشر ، والرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ، ثم الحزب الاشتراكي الفرنسي من بعده .

ويرجع صمود غونزاليس في وجه العاصفة السياسية - الاقتصادية الهوجاء الى سببين رئيسيين :

اولا : ارتباط اليمين الاسباني لدى الناخبين التقليديين بفكرة التعسف والديكتاتورية لما عانته البلاد من ظلم وتعسف خلال فترة الحكم اليميني بزعامة الجنرال فرانكو ، تلك المرحلة السوداء التي استمرت / ٤٠ / عاما وانتهت عام ١٩٨٥ بوفاته واعادة الملكية الدستورية والحكم الديمقراطي الى البلاد بمبادرة من الملك خوان كارلوس وبعد / ٢٠ / عاما من انتهاء الكابوس، ورغم تغير الاشخاص والاحزاب والظروف السياسية الداخلية والدولية يبقى « الحكم الفرانكوي » نقطة سوداء في ملف اليمين الاسباني تجعل الناخبين مترددين في تأييدهم مع كل التردي الحاصل .

ثانيا : صحيح ان اسبانيا تعاني منذ فترة غير بعيدة من ازمة اقتصادية خانقة الا ان ذلك لا يعني أن الحزب الاشتراكي الحاكم يتحمل وحدة المسؤولية ، ضمن هذا الاطار ركز فيليب غونزاليس حملته الانتخابية ، ونجح في اقناع الناخبين بهذا الشعار .

فالحزب الاشتراكي الذي وصل الى الحكم في انتخابات عام ١٩٨٢ حقق انجازات كبيرة في مسيرة تطوير اسبانيا على المستويين السياسي والاقتصادي فقد رسخ على المستوى السياسي الحكم الديمقراطي في البلاد منهيا مرحلة انتقالية استمرت من عام ١٩٧٥ حتى ١٩٨٢ .

اما على المستوى الاقتصادي فقد تولى الاشتراكيون خلال فترة حكمهم مهمة انشاء وتطوير الصناعة الاسبانية بحيث تمكنوا من النهوض بهذا القطاع من المستوى المتخلف والبدائي ليواكب نسبيا الصناعة المتطورة في دول المجموعة الاوروبية .

عهد بلا انجاز ...

وعلى صعيد ارباب العمل فالمرجح ان يحاول رئيس الوزراء اقناعهم باعطاء تعهدات محددة لاعادة توظيف الارباح في مؤسساتهم، وبالمقابل فان الحكومة ربما تقترح تخفيضات ضريبية .

وسيساعد بدء المفاوضات بين الاتحادات وارباب العمل على تسهيل مهمة الحكومة للبدء في خفض عدد الشركات العامة ، اوحتى اغلاق الخاسرة منها او تخفيض الشركات الرابحة .

ومن غير ابرام عقد اجتماعي يتعرض العهد الرابع لحكم غونزاليس للتهديد بان يكون عهدا مجردا من الانجازات على غرار العهد الثالث ، اذ لا يزال من غير الممكن احتواء اي من مصدري الاستنزاف الرئيسيين في الخزانة العامة وهما اعباء البطالة ، والعناية الصحية ، بعيدا عن هزيمة لاجدوى منها دون وقوع خسائر سياسية فادحة ، واساسا فان اقامة العقد ستمثل طريقة لتحويل الجهود من مرحلة المستعصي على الحل الى الحل الممكن .

ويمتلك غونزاليس مجالا يستطيع التحرك داخله ، فالبلاد لا تتوقع خروجا سريعا من الركود الاقتصادي ومعدلات البطالة المرتفعة التي وصلت الى / ٣ / مليون شخص بشكل رسمي وهيأت نفسها خلال الحملة الانتخابية لاستقبال برنامج التقشف اللازم لاستعادة العافية للاقتصاد .

مثل هذا البرنامج اضافة الى العقد وموازنة صارمة للعام ١٩٩٤ ، عوامل مساعدة على امكانية التطبيق سياسيا ، وغيرت ليلة الانتخابات الساسة الاسبان ، ليس فقط لان الاقتراع وضع نهاية لتراث تعرفه البلاد ويقوم على تحقيق غالبية برلمانية ساحقة بل لان غونزاليس نفسه قال انه تغير وفهم رسالة الشعب ، وهذه الرسالة تدعوه الى النزول عن عرشه والقبول بتسوية .

اصلاحات في سوق العمل ..

يؤمن غونزاليس بانه اذا تمكن من لجم جماح نمو الاجور، والذي بلغ نسبة / ٧٪ / هذا العام فان الميل الى خفض معدلات الفائدة قابلا للتسريع نظرا الى ان التضخم الذي بلغ معدله السنوي ٦ر٤ في المائة اصبح من السهل السيطرة عليه .

الا ان غونزاليس مضطر من اجل تهدئة ارتفاع الاجور الى اقناع نقابتين عماليتين كبيرتين تعاديان الاتجاه المحافظ في سياساته

الاقتصادية بالجلوس للتحاور مع اتحادات ارباب العمل التي ساهمت في الحملة ضده بعد ان كان حزبه تخلى عن قانون مناهض للاضراب قدمته الحكومة في صيغة مشروع قرار .

ومن المحتمل ان يؤيد الاتحاد للعمل الاشتراكي والاتحادات الوطنية للجان العمال « الشيوعية » الراغبين باستعادة نفوذهم السياسي الذي كان سائدا قبل تحول غونزاليس بقوة نحو اليمين في منتصف الثمانينات رئيس الوزراء في خطواته الجديدة وعلى ما يبدو ان / غونزاليس / عازم على تحقيق تقارب مع الاتحاد العام للعمل الذي انشق عن الحزب الاشتراكي في اواخر الثمانينات .

ولكن يكون من السهل ايضا ابرام عقداجتماعي ،ويعود ذلك الى ان الاستجابة للاهداف الاقتصادية التي تضمنتها اتفاقية / ماستريخت / وهو ما يعتزم غونزاليس القيام به تحتاج الى اجراء اصلاحات في سوق العمل لتسهيل توظيف وتسريح العمال، وهو امر سيصطدم بمعارضة الاتحادات النقابية ، لكن هناك بالمقابل بدائل تتمثل في عمليات تعليم وتدريب .

واخيرا ..

اذا كانت حقبة حكم الاشتراكيين في اسبانيا مقسمة الى حلقات ومراحل ، ليس بالضرورة ان تكون المرحلة الجديدة احسن حال من سابقاتها ، وان امام الاشتراكيين **مصاعب كثيرة خاصة في ظل ملامح النظام العالمي الجديد** ، وفي ظل تفاقم الازمات الاقتصادية ،وزيادة عدد العاطلين عن العمل ، عدا عن تفشي المخدرات وازدياد تعاطيها وهذا ما كان له التأثير المباشر على بنية المجتمع الاسباني وبنائه ..

ان مهمات صعبة تنتظر الحكم الاسباني القديم ـ الجديد

كيف يمكن ان يوفق الحكم بين الداخل الصعب ، وبين الخارج ولا سيما الاوروبي الذي ينتظر دور اسبانيافي ظل اتفاقية/ماستريخت/ والوحدة الاوروبية ؟

واذا كان غونزاليس من اقوى الاشتراكيين في اوروبا ، الا ان هذا لا يكفي اذا لم تكن هناك قاعدة متينة في بلده يستند اليها .

ان الايام المقبلة حبلى بالاسرار ، وولادتها يمكن ان تغير الكثير مما هو كائن على المستويات كافة والصعد المختلفة في اسبانيا وغيرها .

نشـــاطات ووثــائق

القيــادة القــومـيـة

وفود حزبية عربية وصديقه ...

● استقبل الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب رئيس الجمهورية وفد الحزب الاشتراكي البلغاري برئاسة السيد / ايفان فيدنيوف / رئيس الحزب، وحضر اللقاء الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد ودار الحديث خلال اللقاء حول العلاقات السورية البلغارية ونتائج زيارة الوفد البلغاري لسورية .

وقد عبر السيد فيدنيوف عن الارتياح لنتائج المحادثات التي أجراها الوفد وأبدى التقدير للدور الذي تلعبه سورية بقيادة الرفيق الامين العام للحزب الرئيس حافظ الاسد في المنطقة .

هذا وقد عقدت جلسة مباحثات في مبنى القيادة القومية بين وفد حزب البعث العربي الاشتراكي برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد ووفد الحزب الاشتراكي البلغاري برئاسة السيد / ايفان فدنيوف / رئيس الحزب ، الذي أكد أهمية اللقاء والتعاون مع حزب البعث العربي الاشتراكي ومع سورية لما تقوم به من دور كبير ومؤثر في المنطقة بقيادة السيد الرئيس حافظ الاسد .

وتم في الجلسة تقويم الزيارة وسجل الجانبان ارتياحهما لنتائجها وأكدا على وجود تطابق في وجهات النظر حول أبرز القضايا التي ناقشاها ، وقد تم التوقيع في نهاية الجلسة على اتفاق للتعاون بين الحزبين لعامي ١٩٩٣ ـ ١٩٩٤ وقعه عن حزب البعث العربي الاشتراكي الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد وعن الحزب الاشتراكي البلغاري ايفان فدنيوف رئيس الحزب ، كما تم تبادل الكلمات الودية التي اكدت على ضرورة اللقاءات المستمرة وعلى اهمية تطوير العلاقات بما يخدم مصالح شعبيهما .

● استقبل الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب السيد المنصف بن مريم نائب رئيس الحركة من اجل العدالة والتقدم في الجزائر .

ودار الحديث خلال اللقاء حول البناء التنظيمي للحركة وبرنامج نشاطاتها في المجتمع الجزائري ، وقدم السيد المنصف عرضا للظروف التي تمر فيها الجزائر ودور الحركة من اجل تجاوز تلك الظروف التي تواجهها .

وتم التاكيد على الرغبة باقامة علاقات تعاون بين الحركة وبين حزب البعث العربي الاشتراكي ودفع هذه العلاقات بما يخدم الحزبين الشقيقين لخدمة قضايا النضال العربي .

● استعرض الرفيق الامين العام المساعد خلال استقباله لوفد المعهد العالي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني علاقات التعاون بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي الصيني وسبل تطورها ، وتم التاكيد على أهمية تبادل الخبرات بين الحزبين الصديقين ولاسيما في مجال اعداد الكوادر الحزبية والسياسية وتبادل الاراء والتشاور بما يغني التجارب المتبادلة وبما يخدم مصالح البلدين .

● كما استقبل الرفيق الامين العام المساعد نائب رئيس حزب الديمقراطية الاجتماعية في رومانيا ، وتم خلال اللقاء استعراض الاراء وتبادل المعلومات عن نشاط الحزبين واهتماماتهما المشتركة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وتم التاكيد على الرغبة المشتركة لاقامة علاقات تعاون بين الحزبين وتعزيزها وتطويرها .

دورة الاعداد الحزبي المركزية

● التقى الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب الرفاق المشاركين في دورة الاعداد الحزبي المركزية في المعهد العالي للعلوم السياسية ، وقد ركز الرفيق الامين العام المساعد في حديثه حول موضوع التثقيف العقائدي والسياسي والاعداد والتاهيل الحزبي للكوادر القيادية واهميته في حياة الحزب والحزبيين وفي التعبئة الشعبية عموما مؤكدا اهتمام القيادة وعنايتها لهذا الجانب بما يخدم فكر الحزب وتطور عقيدته وتعزيز الوعي الجماهيري حول ما يجري من احداث وتطورات لامتلاك القدرة على تحليلها والتفاعل معها بما يؤدي الى السير على الطريق السليم لانجاز المهام وبلوغ الاهداف القومية لشعبنا .

وحث الرفاق على متابعة النضال على جميع المسارات لتحقيق النجاح على طريق أهداف أمتنا في الوحدة والحرية والاشتراكية .

منظمات الحزب داخل الوطن العربي

القطر اللبناني

● ثمنت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان الموقف البطولي والشجاع للجيشين العربيين السوري واللبناني في الدفاع والتصدي للاعتداءات الاسرائيلية ووقوفهما بثبات دفاعا عن سيادة لبنان واستقلاله وفي تسطير ملاحم البطولة والفداء دفاعا عن كرامة الامة العربية ..

ودعت القيادة القطرية للحزب في بيان لها كافة القوى على الساحة اللبنانية للوقوف وقفة واحدة دعما لموقف الحكومة اللبنانية الممثل لوحدة الشعب اللبناني المؤتمن على مسيرة الامن والوفاق والذود عن الوطن وابنائه الصامدين المتمسكين بالارض .

ووصف البيان ماتقوم به القوات الاسرائيلية من قصف وتدمير للمؤسسات التربوية والانسانية وتشريد السكان وقتل المدنيين بانه عمل اجرامي يدل دلالة قاطعة على حقيقة اسرائيل العدوانية ويبين مخططاتها التوسعية ..

منظمات الحزب خارج الوطن العربي

● اثر الاعتداءات الغاشمة التي قامت بها « اسرائيل » على جنوب لبنان اجرت منظماتنا الحزبية خارج الوطن العربي الاتصالات مع كافة الفعاليات والاحزاب السياسية شارحة الموقف والآثار الناجمة عن القصف الوحشي .

– ففي مدينة « مالبورن » باستراليا تم عقد اجتماع موسع في منزل الرفيق امين المنظمة ضم مسؤولي الاحزاب السياسية ورجال الدين وفعاليات الجالية العربية ورؤساء الجمعيات والنوادي الثقافية تباحث فيه المجتمعون الاعتداء الصهيوني على لبنان وشعبه الامن ، واعتبروه عدوانا سافرا هدفه عرقلة مسيرة الوفاق الوطني اللبناني واجهاض عملية السلام وتعطيل محادثاتها .

وقد ثمن الجميع الموقف الرائد والمسؤول للقطر العربي السوري في التعاطي الحكيم مع هذا العدوان .

وقد رفع المجتمعون مذكرة احتجاج الى رئيس الحكومة الاسترالية وطلبوا منه دعم تنفيذ القرار ٤٢٥ ، وكذلك مذكرة الى الامين العام للامم المتحدة .
كما شكل المجتمعون لجنة لجمع التبرعات للمتضررين .